رسالة

عبد الله بن اسمعيل الهاشميّ

الى

عبد المسيح بن اسحق الكندي

يدعوه بها الى الاسلام

ورسالة

الكندي الى الهاشميّ

يردّ بها عليه ويدعوه الى النصرانية

في ايام امير المؤمنين الخليفة العباسي المأمون
سنة ٢٤٧ هجرية و ٨٦١ مسيحية

BIBLE LANDS MISSIONS' AID SOCIETY,
7 ADAM ST., STRAND, LONDON.

١٩١٢

رسالة

عبد الله بن اسمعيل الهاشمي

الى

عبد المسيح بن اسحق الكندي

يدعوه بها الى الاسلام

ورسالة

الكندي الى الهاشمي

يردُّ بها عليه ويدعوه الى النصرانية

في ايام امير المؤمنين الخليفة العباسي المأمون
سنة ٢٤٧ هجرية و ٨٦١ مسيحية

BIBLE LANDS MISSIONS' AID SOCIETY,
7 ADAM ST., STRAND, LONDON.

١٩١٢

مقدمة

للطبعة الجديدة

انا قد بذلنا الجهد في تصحيح هذه النسخة بمقابلتها على نسخ خطية ومطبوعة. ولم نزد فيها الا بعض ايضاحات سطرناها بالهامش. ولم نحذف منها الا بعض الجمل التي يمج سمع ادباء هذا العصر من سماعها لا سيما السيدات لانه لا يليق التصريح بها ذوقاً. كالخفاض وشبهه. ومن اراد الوقوف على المحذوف فعليه بمراجعة ما طبع سابقاً. وكفانا بهذا لدى الادباء الكرام اعتذاراً. وايضاً ان ما بين القوسين ( ) من اسماء السور ليس هو من الاصل المخطوط بل من النسخ المطبوعة. كما اننا تسهيلاً لمراجعة القارئ قد حررنا الاقتباسات الانجيلية من ترجمة سنة ١٨٦٠ المطبوعة في بيروت والله الهادي الى سواء السبيل

القاهرة سنة ١٩١٢ مسيحية

بسم الله الواحد الصمد

ذكر انه كان في زمن عبد الله المأمون رجل من نبلاء الهاشميين واظنه من ولد العباس قريب القرابة من الخليفة معروف بالنسك والورع والتمسك بدين الاسلام وشدة الاغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه مشهور بذلك عند الخاصة والعامة. وكان له صديق من الفضلاء ذو ادب وعلم كندي الاصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية وكان في خدمة الخليفة وقريباً منه مكاناً. فكانا يتوادّان ويتحابان ويثق كل منهما بصاحبه وبالاخلاص له. وكان امير المؤمنين المأمون وجماعة اصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك. وكرهنا ان نذكر اسميهما لعلة من العلل (١). فكتب الهاشمي الى النصراني كتاباً هذه نسخته :—

---

(١) هما عبد الله بن اسماعيل الهاشمي وعبد المسيح بن اسحق الكندي

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد افتتحت كتابي اليك بالسلام عليك والرحمة تشبهاً بسيدي وسيد الانبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثقاتنا ذوي العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين الينا اخبار نبينا عليه السلام قد رووا لنا عنه ان هذه كانت عادته وانه كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته اياهم ولا يفرق بين الذمي منهم والامي ولا بين المؤمن والمشرك وكان يقول اني بعثت بحسن الخلق الى الناس كافة ولم ابعث بالغلظة والفظاظة ويستشهد الله على ذلك اذ يقول «بالمؤمنين رؤوف رحيم»[1] وكذلك رأيت من حضرته من ائمتنا الخلفاء المهتدين المهديين الراشدين رضي الله عنهم اجمعين انهم كانوا لفضل ادبهم وشرف حسبهم ونبل هممهم وكرم اخلاقهم يتبعون اثر نبيهم صلى الله عليه وسلم ولا يفرقون في ذلك ولا يفضلون فيه احداً فسلكت ذلك المنهج واحتذيت تلك السبل واخذت ذلك الادب المحمود فابتدأتك في كتابي هذا بالسلام والرحمة لئلا ينكر علي منكر يقع اليه كتابي هذا .

---

(1) اي محمد

والذي حملني اليك وحثني على ذلك محبتي لك اذ كان سيدي ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم يقول محبة القريب ديانة وايمان على اني كتبت طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونصحك ايانا وما انت عليه من محبتنا وتظهره من مودتنا والميل الينا وما ارى ايضاً من اكرام سيدي وابن عمي امير المؤمنين ايده الله لك وتقريبه اياك وثقته بك وحسن قوله فيك فرأيت ان ارضى لك ما قد رضيته لنفسي واهلي ووالديّ مخلصاً لك النصيحة ومبذلها[1] كاشفاً عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والامن من العقاب في المآب اذ يقول تبارك وتعالى «ملة ابراهيم حنيفا» (بقرة) ويقول عز وجل وقوله الحق «الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين» (الزخرف) ويقول ايضاً مؤكداً «ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلماً وما كان من المشركين» (آل عمران) فرغبت لك في ما رغبت فيه لنفسي واشفقت عليك لما ظهر لي من كثرة ادبك وبارع علمك وحسن تهذبك وجميل مذهبك وشرف حسبك وتقدمك على الكثير من اهل ملتك ان تكون مقيماً على ما انت عليه من ديانتك هذه فقلت اكشف له عما من الله به علينا واعرفه ما نحن عليه بالين القول واحسنه متبعاً في ذلك ما اذنني الله

[1] صوابه وباذلها

به اذ يأمرني ويقول جل ثناؤه «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن» (عنكبوت) فلست اجادلك الا بالجميل من الكلام والحسن من القول واللين من اللفظ لعلك تنتبه وترجع الى الحق وترغب في ما اتلوه عليك من كلام الله جل جلاله الذي انزله على خاتم الانبياء وسيد ولد آدم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ولم ايأس من ذلك بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشاء وسألته ان يجعلني سبباً في ذلك ووجدت الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه «ان الدين عند الله الاسلام» (آل عمران) ويقول الله ايضاً مؤكداً لقوله الأول «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران) ثم اكد ذلك تبارك وتعالى امراً قاطعاً اذ يقول «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون» (آل عمران) وانت الرجل عافاك الله من جهل الكفر وفتح قلبك لنور الايمان تعلم اني رجل اتت علي سنون كثيرة وقد تبحرت في عامة الاديان وامتحنتها وقرأت كثيراً من كتب اهلها وخاصة كتبكم معشر النصارى فاني عنيت بقراءة الكتب العتيقة والحديثة التي انزلها الله على موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام فاما الكتب العتيقة التي هي التوراة وكتاب يشوع بن نون وسفر القضاة وسفرا صموئيل النبي وسفرا الملوك وزبور داود النبي وحكمة سليمان بن داود وكتاب ايوب الصديق وكتاب اشعيا النبي وكتاب الاثني عشر نبياً وكتاب ارميا النبي وكتاب حزقيال النبي وكتاب دانيال

النبي فهذه هي الكتب العتيقة . فاما الكتب الحديثة فاولها الانجيل وهو اربعة اجزاء الاول منها بشارة متى العشار والثاني بشارة مرقص ابن اخت سمعان المعروف بالصفا والثالث بشارة لوقا المتطبب والرابع بشارة يوحنا بن زبدى فهذه اربعة اجزاء منها بشارة رجلين من الحواريين الاثنى عشر الذين كانوا ملازمين المسيح صلوات الله عليه وهما متى ويوحنا وبشارة رجلين من الحواريين السبعين الذين كانوا للمسيح صلوات الله عليه بعثهم الى الامم دعاة له وهما مرقص ولوقا. ثم كتاب قصص الحواريين واحاديثهم واخبارهم من بعد ارتفاع المسيح الى السماء الذي كتبه لوقا ورسائل بولص الاربع عشرة . فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجاثليق وقد علمت كيف تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم والعقل وناظرت فيها من اهل فرقكم هذه الثلث التي هي ظاهرة اعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكرلس وهم الروم. واليعقوبية وهم اكفر القوم واخبثهم قولاً واشرهم اعتقاداً وابعدهم من الحق القائلين بمقالة كيرلس الاسكندري ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي انطاكية . والنسطورية اصحابك وهم لعمري اقرب واشبه بأقاويل المنصفين من اهل الكلام والنظر واكثرهم ميلاً الى قولنا معشر المسلمين وهم الذين حمد نبينا صلى الله عليه وسلم امرهم ومدحهم واعطاهم العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في عنقه واعناق اصحابه ما جعل وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل

لهم السجلات واكد امرهم عندما صاروا اليـه حين افضي الامر اليـه واستوثق له فاتود وتحرموا بحرمته وذكروه بعموتهم اياه على اعلان امره واظهار دعوته وما مكن الله له صلم . وذلك ان الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكن الله له وصار اليه . فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر توادده لهم واطالة محادثتهم ويرى كثيراً عندهم مخاطباً لهم في تردده الى الشام وغيرها . وكان الرهبان واصحاب الاديرة يكرمونه ويجلونه طوعاً ويخبرون اصحابهم بمـا يريد الله ان يرفع من امره ويعلن من ذكره وكانت النصارى تميل اليـه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشر ويريدونه من الغوائل مع مودتهم له واجلالهم اياه واصحابه . فعند ذلك نزل الوحي على نبينا عليه السلام وشهد الله لهم في القرآن قائلاً «ولتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا (يعني مشركي قريش) ولتجدن اقربهـم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون» (مائدة) وعرف النبي عليه السلام بما أُنزل عليه من الوحي صحة ضمائرهم ونياتهم وانهم اصحاب المسيح حقاً السائرون بسيرته الآخذون بسنته اذ كانوا لا يرون القتال ولا يستحلون المال ولا يغشون احداً ولا يريدون بالناس سوءاً ولا مكروهاً وانهم طالبو السلامة ولا يصرون على حقد ولا على عداوة بل يعتقدون الفضل على الناس اجمعين. فاعطاهم نبينا عليه السلام لذلك ما اعطاهم

من العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب اصحابه ووصى بهم تلك الوصية عند ما اطلعه الله على ما اطلعه عليه من امرهم وبراءة ساحتهم. فنحن مقرون بذلك غير جاحدين ولا منكرين وناظرون لهذا الفعل وآخذون بهذه السنة وقابلون لهذه الوصية وموجبون هذا الحق على انفسنا. ولقيت جماعة من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم ودخلت عماراً(١) وديارات(٢) وبيعاً كثيرة وحضرت صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمونها صلوات الاوقات وهي صلوة الليل وصلوة الغداة وصلوة الثالثة التي هي صلوة السحر وصلوة نصف النهار اعني صلوة الظهر وصلوة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر وصلوة الغروب التي هي صلوة بين العصر والعشاء وصلوة الشفع وهي صلوة العشاء المفروضة وصلوة النوم التي يصلونها قبل اخذهم مضاجعهم ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بالصاق الخدود بالارض وضرب الجبهة والتكتف الى انقضاء صلواتهم خاصة في ليالي الآحاد وليالي الجمع وليالي الاعياد التي يسهرون فيها منتصبي الارجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله ويصلون ذلك بالقيام نهارهم اجمع ويكثرون في صلواتهم ذكر الآب والابن والروح القدس وايام الاعتكاف التي يسمونها ايام البواعيث(٣) وقيامهم فيها حفاة على المسوح والرماد باكين بكاء كثيراً متواتراً

(١) العمر بضم فسكون البيعة والكنيسة (٢) الدير مقام الرهبان وجمعه اديار واديرة لاديارات (٣) جمع باعوث سرياني وهو صلاة الاستمطار

بانهمال دموع من الاعين والجفون متحبين بسحق عجيب ورأيت علمهم القربان كيف يحفظونه بالنظافة في خبزهم اياه ودعائهم عند عمله الدعاء الطويل مع التضرع الشديد عند اصعاده على المذبح في البيت المعروف ببيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوة خمراً ورأيت ايضاً ما يتدبر به الرهبان في قلاليهم[١] ايام صياماتهم الستة اعني الاربعة الكبار والاثنين الصغيرين وغير ذلك فهذا كله كنت له حاضراً ولاهله مشاهداً وبه عارفاً عالماً ورأيت ايضاً مطارنة واساقفة مذكورين بحسن المعرفة وكثرة العلم مشهورين بشدة الاغراق في الديانة النصرانية مظهرين غاية الزهد في الدنيا فناظرتهم مناظرة نصفة طالباً للحق مسقطاً بيني وبينهم اللجاج والمرآء والمكابرة بالسلطة والصلف والبذخ بالحسب واوسعتهم امناً ان يقوموا بحجتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه غير مؤاخذ لهم بذلك ولا متعنت عليهم في شيء كمناظرة الرعاع والجهال والسقاط[٢] والعوام والسفهاء من اهل ديانتنا الذين لا اصل لهم ينتهون اليه ولا عقل فيهم يعولون عليه ولا دين ولا اخلاق تحجبهم عن سوء الادب وانما كلامهم العنت والمكابرة والمغالبة بسلطان الدولة بغير علم ولا حجة. وكانوا اذا انا ناظرتهم وسألتهم مسألة بحث فاحصاً عن قولهم وكانوا لشدة ورعهم ودعتهم واعتقادهم وتحرجهم يصدقونني عن امرهم

(١) اي معابدهم (٢) بضم السين وتشديد القاف جمع ساقط لئيم الحسب والنفس

ولا يكذبوني في شيء مما كنت اسائلهم عنه واجادلهم فيه وكنت قد عرفت من بواطنهم مثل الذي قد عرفته من ظاهرهم فكتبت اليك اصلحك الله بهذا الشرح وعددت ما عددته واقتصصت ما اقتصصته بعد الاستقصاء والبحث الشديد والامتحان له على طول الايام لئلا يظن بي أني عمي بالامر بل ليعلم من وقع في يده كتابي هذا أني عالم بالقضية فيهم علماً بجميع امر النصارى حق معرفته. فانا الآن متع الله بك ادعوك بهذه المعرفة كلها مني بدينك الذي انت عليه وقد امتحنته الى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً والامن من النار. وهو ان تعبد الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفوءاً احد وهي الصفة التي وصف نفسه جل وعز بها اذ كان ليس احد من خلقه اعلم به من نفسه. فدعوتك الى عبادة هذا الاله الواحد الذي هذه صفته ولم ازد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه جل اسمه وتعالى ذكراً علواً كبيراً عما يشركون. فهذه ملة ابيك وابينا ابراهيم صلوات الله عليه فانه كان حنيفاً مسلماً. ثم ادعوك حفظك الله الى الشهادة والاقرار بنبوة سيدي وسيد ولد آدم وصفي رب العالمين وخاتم الانبياء محمد بن عبد الله الهاشمي القريشي العربي الابطحي التهامي صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة حبيب رب العزة ومكلم جبرائيل الروح الامين الذي ارسله الله بشيراً ونذيراً الى الناس كافة «بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» (توبة) فدعا الناس كلهم اجمعين اهل الشرق والغرب واهل البر والبحر والجبل والسهل بالرحمة والرأفة وطيب القول وحسن الخلق واللين فاستجاب هذا الخلق كلهم الى طاعة دعوته والشهادة له انه رسول الله رب العالمين الى من يريد انتصاحاً واقر الانام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة امره وما جاء به من البرهان الصريح والدليل الواضح وهو هذا الكتاب المنزل عليه من عند الله الذي لا يقدر احد من الانس والجن ان يأتي بمثله وكفى به دليلاً على دعوته وانه دعا الى عبادة الله واحد فرد صمد فدخلوا في دينه وصاروا تحت يده غير مكرهين ولا مجبرين بل خاضعين معترفين مستنيرين بنور هدايته متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وانكر رسالته ورد امره مقاوماً ومتعالياً فمكن الله لهم في البلاد واذل لهم رقاب الامم من العباد الا من قال بقولهم ودان بدينهم وشهد على شهادتهم فحقن بذلك دمه وماله وحرمته ان يؤدي الجزية[1] عن يد وهو صاغر. وهذه الشهادة امتع الله بك هي الشهادة التي شهد الله بها قبل ان يخلق الخلائق اذ كان على العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله. وادعوك الى الصلوات الخمس التي من صلاها لم يخب ولم يخسر بل يربح ويكون في

(١) هكذا بالاصل

بالدنيا والآخرة من الفائزين وهي الفرض فيها فرضان فرض من الله وفرض من رسوله مثل الوتر وهي ثلاث ركعات بعد العشاء الاخير. وركعتان في الفجر وركعتان بعد الظهر وركعتان بعد المغرب فمن ترك شيئاً من هذه فليس بجائز له ويجب على من تركها ايماً الادب ويستتاب منه فاما الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل ركعتا الفجر واربع ركعات الظهر واربع ركعات العصر وثلاث ركعات المغرب وهي العشاء الاولى واربع ركعات العشاء الآخرة وهي العتمة وقد نهى رسول الله ان يقال العتمة وقال هي عتمة عتمة الليل وانما سميت عتمة لتأخرها في العشاء وابطائها. وادعوك الى صوم شهر رمضان الذي فرضه الديان ونزل فيه الفرقان شهر يشهد فيه الله ان فيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر تصوم فيه نهارك كله عن جميع المطاعم والمشارب والمناكح الى ان يسقط قرص الشمس ويدخل حد الليل ثم تأكل وتشرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبين لك الخيط الاسود من الخيط الابيض حلالاً مطلقاً هنيئاً طيباً من الله فان انت لحقت ليلة القدر باخلاص نيتك كنت قد فزت في دنياك وآخرتك قال الله تعالى «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى

للناس و بينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها» (بقرة) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم الفطور ويؤخر السحور. ثم ادعوك الى الحج الى بيت الله الحرام الذي بمكة والنظر الى حرم رسول الله والى آثاره ومواضعه ورمي الجمار والتلبية والاحرام وتقبيل الركن والمقام ومشاهدة تلك المواضع المباركة وتلك المشاعر العجيبة. ثم ادعوك الى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضرباً بالسيف وسبياً وسلباً حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا ان الله لا اله الا هو وان محمداً عبده ورسوله او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وادعوك الى الاقرار بان الله يبعث من في القبور وانه ديانهم بالعدل فيكافي المحسن بالحسنى ويجزي المسيء باساءته وانه يدخل اولياءه واهل طاعته الذين اقروا بوحدانيته وشهدوا بان

محمداً عبده ورسوله وآمنوا بما انزل عليه من القرآن الجنة التي اعد لهم فيها الطيبات «يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير» (الحج) «وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب» (ملائكة) «اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون» (صافات) «ان الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد» (زمر) «يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون» (زخرف) «ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم» (دخان) وقال عز وجل «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء

حميماً فقطع امعاءهم» (محمد) وقال عز وجل «وان للمتقين لحسن مآب. جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها فاكهة كثيرة. وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد» (ص) وقال عز وجل في وصف الجنة «ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي الآء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام» (الرحمن) وقال عز وجل «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» (الزمر) وقال

عز وجل «ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريراً قوارير من فضة قدروها تقديراً ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمى سلسبيلاً» (الانسان) وقال عز وجل «ان للمتقين مفازاً حدائق واعناباً وكواعب اتراباً وكأساً دهاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاء من ربك عطاء حساباً» (النبا) وقال تبارك وتعالى «ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون متكئين على سرر موصوفة وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرء بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم» (الطور) وقال تبارك وتعالى «والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين

كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً الا قيلاً سلاماً سلاماً واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشآء فجعلناهن ابكاراً عرباً اتراباً لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين » (الواقعة) فهذه ابقاك الله صفة الجنة التي اعدها الله للمؤمنين به وبرسوله واعد لهم فيها الطيبات من الطعام والشراب وانواع الفواكه والرياحين ونكاح الحور العين اللآء هن كامثال اللؤلؤ المكنون بلا نهاية ولا انقطاع يأخذون كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الاسرة متكئين على الآرائك عليهم ثياب الحرير اللين مستورين بالاسرة المكللة باللؤلؤ تعرف في وجوههم نضرة النعيم يدور عليهم الولدان والوصائف والوصفآء الذين هم في جنسهم كاللؤلؤ المكنون يسقون من كأسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب منها المقربون يحيون بها باحسن التحية واطيبها ويقولون لهم كلوا واشربوا وتنعموا هنيئاً لكم بما كنتم تعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا يمسهم جوع ولا لغوب. فهم في هذا النعيم آمنون واثقون خالدون ابداً . واما الكفار الذين اشركوا بالله واتخذوا معه الانداد ولم يؤمنوا برسله وكذبوا بآياته وحرموا حدوده وحاربوه فهم اهل النار يلقونها كفاحاً في جهنم لابثين في نار لا تطفى وزمهرير

لا يوصف وهم فيها خالدون كلما احترقت جلودهم جددت لهم جلود اخرى مقامهم في الجحيم وشرابهم المهل وطعامهم من شجرة الزقوم رفقاء لابليس وجنود له وبأس المصير

وقال عز وجل «الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين» (آل عمران) وقال تبارك وتعالى «الذين يكفرون بالله ورسله . . . . . ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً» (النساء) وقال تبارك وتعالى «والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور» (الملائكة) وقال ايضاً . . . . «شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوباً من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم» (صافات) ثم «فويل للذين كفروا من النار . . . . وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق» (ص) وقال «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل» (الزمر) وقال «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين والذين كفروا بآيات الله اولئك هم

الخاسرون» (الزمر) وقال «وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جآءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين» (الزمر) «وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعآء الكافرين الا في ضلال» (المؤمن) وقال «ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون» (المؤمن) وقال «والكافرون لهم عذاب شديد ..... وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي» (شورى) وقال تبارك وتعالى «ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون» (زخرف) وقال «ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون» (دخان) وقال عز وجل «كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم . . . .

ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم» (محمد) وقال «ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احيآء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ المكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين» (مرسلات)

فهل سمعت عافاك الله يا هذا بوصف احسن واعجب من هذا من ترغيب وترهيب وترشيف وتهويل وتحريض ووعد ووعيد لكل جبار عنيد ولكل مصدق ومكذب ولكل مؤمن وكافر ولكل مقر وجاحد فلو لم ترغب الاً في ذلك الوصف لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم ولو لم ترهب الاً من ذكر النار واهوال جهنم لكان في تركك ذلك الخطب الجليل وتليك فيه الخسران المبين . قال الله تبارك وتعالى «وذكرْ فان الذكرى تنفع المؤمنين» فاما نحن فقد ذكرناك فان انت آمنت وقبلت ما يتلى عليك من كتاب الله المنزل انتفعت بما ذكرناك وكتبنا به اليك وان ابيت الاً المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق كنا نحن قد

أُجرنا اذ عملنا بما أُمرنا به وكان الحق هو المتصف منك ان شاء الله . فهذه انار الله قلبك هيئة ديننا القيم وهذه شرائعه واعلامه وسننه فاذا انت دخلت فيه واقررت به وشهدت على شهادته واحببت الدخول في ما دعوناك اليه من شرائعنا النيرة واعلامنا الواضحة وسنننا الحسنة كنت مثلنا وكنا مثلك فحسبك بنا شرفاً في الدنيا والآخرة وان نبينا عليه السلام يقول يوم القيامة كل احد مشغول بنفسه من ملك مقرب ونبي مرسل سواه وهو يقول اهل بيتي امتي امتي فيجاب اولاً في اهل بيته ثم في امته ويقول الرحمن للملائكة اني استحيي ان ارد شفاعة صفيي وحبيبي محمد. ثم تكون ممن يجب لك ما يجب وتصلي الى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا وتقيم الصلوات الخمس بعد اسباغ الوضوء اذا كنت صحيحاً وقائماً على رجليك واذا كنت مريضاً او ضعيفاً فجالس فان كنت على سفر فنصف ما تصليه وانت بالحضر . قال الله عز وجل «اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة» واما الزكاة فهي ربع العشر اذا اتى على المال وهو في ملك صاحبه حول كامل فتصرف ذلك على المساكين من ملتك والفقراء من اهلك. وتنكح من النساء ما احببت لا جناح عليك في ذلك ولا لوم ولا اثم ولا عيب اذا انت تزوجتها بولي وشاهدين وآتيتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسر ولك ان تجمع بين اربع نساء وتطلق من شئت اذا كرهتها او مللتها او شبعت منها ولك ان تراجع بعد الاستحلال من احببت منهن اينهن تبعتها نفسك . قال الله تعالى عز وجل «فان طلقها فلا تحل له من

بعد حتى تنكح زوجاً غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا» وتتمتع من الاماء بما ملكت يداك وتختتن لتقيم سنة ابراهيم ابينا خليل الرحمن وسنة اسماعيل ابينا وابيك صلوات الله عليهما وتغتسل من الجنابة ثم ان قدرت تصوم شهر رمضان والا ان افطرت من علة او مرض او سفر بعد ان تنوي قضاء ذلك «فان الله يريد لعباده اليسر ولا يريد لهم العسر» وان حنثت في قسمك عملت بما امر الله به في ذلك اذ يقول تبارك وتعالى «لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم» (بقرة) وكفارة الحنث عندنا معاشر المسلمين قوله تعالى «اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين لكم الله آياته لعلكم تشكرون» (مائدة) والحج واجب عليك لانه جل جلاله يقول «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً» (آل عمران) وذلك اذا لم يكن عليك دين وكانت لك راحلة وكان عندك ثمن الزاد. والغزو في سبيل الله فمعه الغنيمة في الدنيا عاجلاً والاجر العظيم في الآخرة آجلاً. فقد سهل الله وله الحمد على المؤمنين وان الله تبارك وتعالى ليحب ان يؤخذ بعزائمه وتشديداته. ولو لم يكن في دين الاسلام شيء الا الطمأنينة والامن وتسليم القلب لله والراحة والثقة بما ضمن الله لنا عن نفسه انه هو يثيبنا على ذلك في الآخرة الاجر العظيم ويدخلنا جنات النعيم فنكون فيها

خالدين ويتصرنا فيها على القوم الظالمين لكان في دون هـذا لنا الفوز العظيم . فقد تلوت عليك من قول الله تبارك وتعالى وهو قول الحق لا خلف لوعده ولا تكذيب لقوله فيما سلف من كتابي ذا ما في اقله كفاية فدع ما انت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره وهو قولكم بالاب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع فاني ارتابك عنه واجل فيه علمك وشرف حسبك عن خساسته فاني وجدت الله تبارك وتعالى يقول «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» (نساء) وقال جل ذكره «لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون» (مائدة)

فدع ما انت فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة وجهد ذلك الصوم الآزم الصعب والشقاء الدائم والبلاء الطويل الذي انت منغمس فيه الذي لا ينفع ولا يجدي عليك نفعاً الا اتعابك

بدنك وتعذيبك نفسك وأقبل داخلاً في هذا الدين القيم السهل المنهج، الصحيح الاعتقاد الحسن الشرائع الواسع السبيل الذي ارتضاه الله لأوليائه من عباده ودعا جميع خلقه اليه من بين الاديان كلها تفضلاً منه عليهم به واحساناً اليهم بهدايته اياهم ليتم بذلك نعماه عندهم. فقد نصحت لك يا هذا واديت اليك حق المودة وخالص المحبة اذ احببت ان اخلطك بنفسي وان اكون انا وانت على رأي واحد وديانة واحدة. فاني وجدت ربي يقول في محكم كتابه «ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه» (بينة) وقال الله في محكم كتابه في موضع آخر «كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف» (آل عمران) واشفقت عليك ابقاك الله ان تكون من اهل النار الذين هم شر البرية ورجوت ان تكون بتوفيق الله اياك من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم خير البرية ورجوت ان تكون من هذه الامة التي هي خير امة اُخرجت للناس فان ابيت الا الظاظاً ولجاجاً وجهلاً وتمادياً في كفرك وطغيانك الذي انت فيه ورددت علينا قولنا ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا حيث لم نرد منك على ذلك جزاءً ولا شكراً فاكتب بما عندك من امر دينك والذي صح في يدك منه وما قامت به الحجة عندك آمناً مطمئناً غير مقصر.

في حجتك ولا مكاتم لما انت معتقده ولا فرق ولا وجل فليس عندي الاَّ الاستماع للحجة منك والصبر والاذعان والاقرار بما يلزمني منه طائعاً غير منكر ولا جاحد ولا هائب حتى نقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ونجمعه الى ما في ايدينا ثم نخيرك بعد ذلك على ان تشرح لنا عليه وتدع الاعتلال علينا بقولك ان الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجة واحتجت ان تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة فقد اطلقناك وحجتك لئلا تنسبنا الى الكبرياء وتدعي علينا الجور والحيف فان ذلك غير شبيه بنا . فاحتج عافاك الله بما شئت وقل كيف شئت وتكلم بما احببت وانبسط في كل ما تظن انه يؤديك الى وثيق حجتك فانك في اوسع الامان ولنا عليك اصلحك الله اذ قد اطلقناك هذا الاطلاق و بسطنا لسانك هذا البسط ان تجعل بيننا و بينك حكماً عادلاً لا يجور ولا يحيف في حكمه وقضائه ولا يميل الى غير الحق اذا ما تجنب دولة الهواء وهو العقل الذي يأخذ به الله عز وجل و يعطي فاننا قد انصفناك في القول واوسعناك في الامان ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا اذ كان لا اكراه في الدين وما دعوناك الا طوعاً وترغيباً في ما عندنا وعرفناك شناعة ما انت عليه . والسّلام عليك ورحمة الله و بركاته

فاجابه النصراني

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسر ولا تعسر ربّ تمم بالخير

الى فلان بن فلان من فلان بن فلان اصغر عبيد المسيح سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحل عليك خاصة وعلى جميع اهل العالم عامة بجوده وكرمه آمين

اما بعد فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي سيدي امير المؤمنين ودعوت الله الذي لا يخيب داعيه اذا دعاه بنية صادقة ان يطيل بقاء سيدنا امير المؤمنين في اسبغ النعم وادوم الكرامة واشمل العافية بمنه ورحمته وشكرت اكرمك الله ما ظهر لي من فضلك بالعناية وما كشفته من لطيف محبتك وخصصتني به من المودّة فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديماً وقد زاده تأكيداً ما تبين لي من شفقتك مستأنفاً وشكري يقصر عما فعلته ولم تتعد ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك وانا ارغب الى الله جل اسمه الذي بيده الخير كله ان يتولى مكافأتك عني بما هو واسع له فانه لا يعجز عن شيء ويحسن جزاءك عن نيتك فقد لعمري افرغت مجهودك والنصيحة عند نفسك ولم تبق

غاية ووجب شكرك عليّ اذ كنت لم تأت بما اتيت به الاّ على الاخلاص من المودّة وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة والالفة وفهمت افهمك الله كل خير وهداك الى سبيل الرشاد ما اقتصصته في كتابك وتعمقت فيه من الدعوة وشرحته من امر دياناتك هذه التي انت عليها وما دعوتني الى الدخول اليه ورغبتني فيه منها وقد علمت اصلحك الله علماً حقيقياً ان الذي دعاك الى ذلك ما يوجبه لنا تفضلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأي سيدنا وسيدك وابن عمك امير المؤمنين فينا فهذا اكرمك الله ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنا على ذلك الا الله تبارك وتعالى فانا نستعينه ونسأله مبتهلين طالبين اليه ان يشكرك عنا فانه اهل لذلك والقادر عليه. فاما ما دعوتني اليه من امر دينك الذي تنتحله ومقالتك التي تعتقدها وهي الحنيفية وانك على ملة ابينا ابراهيم وما قلت فيه انه كان حنيفاً مسلماً فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلص العالمين الذي وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في انجيله المقدس حيث يقول «ومتى قدموكم الى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف او بما تحتجون او بما تقولون لان الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب ان تقولوه» (لوقا ١٢: ١١و١٢) فانا واثق بما وعدني به سيدي المسيح في انجيله المقدس من انجازه وعده لي وادخل معك الى المعركة مستعيناً بالله متكلاً عليه اذ كنت انا العاجز عن كل شيء لا اتأخر عن دعوته المنيرة وعن دينه الافضل وافتتح كلامي بما يلقنني به من صلاح القول و يلهمني

من وثيق الحجة كعادته عند اوليائه وارجو منه الظفر . واقول مجيباً لك قد علمت ابقاك الله اذ زعمت انك قرأت كتب الله المنزلة ونظرت في ديوان اسراره المقدسة التي هي الكتب العتيقة والحديثة ان التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى النبي وناجاه بجميع ما فيها وخبره اسراره مكتوب في السفر الاول من اسفارها الخمسة وهو المعروف بسفر الخليقة أن ابراهيم كان نازلا مع آبائه بحران وانها كانت مسكناً لهم وان الله تبارك وتعالى تجلى عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحسب له ذلك براً فقد علمنا يرحمك الله ان ابراهيم انما كان نازلاً بحران مع آبائه تسعين سنة لم يعبد الا الصنم المسمى العزى وهو المعروف بحران المتخذ على اسم القمر لان اهل حران انما كانوا يعبدون هذا الصنم وتلك البقية قائمة فيهم الى هذه الغاية لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئاً غير القرابين التي يتخذونها من الناس فان ذبح الناس لا يتهيأ لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سراً فكان ابراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع ابائه واجداده وأهل بلده كما اقررت انت ايها الحنيف وشهدت بذلك عليه الى ان تجلى الله عليه «فآمن بالرب فحسبه له براً» (تكوين ١٥:٦) زال عن الحنيفية التي هي عبادة الاصنام وصار موحداً مؤمناً لاننا نجد الحنيفية في كتب الله المنزلة اسماً لعبادة الاصنام فورث ذلك التوحيد اسحق الذي هو ابن الموعد وهو الذي قربه لله ففداه الله بالكبش من الفدية لانه هكذا امره الله وقال «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق

واذهب الى ارض المريا واصعده هناك محرقة على احد الجبال الذي اقول لك» (تك ٢٢: ٢) ومن نسل اسحق من سارة الحرة خرج المسيح مخلص العالم. فلهذه الاسباب وغيرها ورثه ابراهيم ابوه التوحيد ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه الذي سماه الله اسرائيل ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطاً فلم يزل ذلك التراث في بني اسرائيل حتى دخلوا ارض مصر ايام الفراعنة بسبب يوسف ثم لم يزل ذلك التراث ينقص ويضعف قرناً بعد قرن حتى اضمحل كاضمحلاله الذي كان في عصر نوح اذ كان التوحيد اول من عرفه ابونا آدم ثم ورثه شيث ثم شيث ورثه انوش ابنه فكان انوش اول من اعلن ذكر التوحيد ودعا اليه ثم ورثه نوح ولده وولد ولده ثم اضمحل الى زمن ابراهيم فتجدد ذلك التراث لابراهيم ثم لم يزل يتجدد الى ان ولد يعقوب الذي هو اسرائيل الله ثم اضمحل حتى تجدد عندما بعث الله موسى فان الله تجلى عليه بالنار في العوسجة وقال له في مناجاته اياه ومخاطبته له ما معناه «انك ترسلني الى قوم غلف القلوب ان هم سألوني وقالوا ما اسم الذي وجهك الينا وبماذا وجهك حتى نصدقك فماذا اقول لهم فقال الله مجيباً هكذا تقول لبني اسرائيل الذين انا مرسلك اليهم وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت اليه «اهيه اشراهيه ارسلني اليكم». وتفسيره ذلك الازلي الذي لم يزل اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ارسلني اليكم»[١] فجدد في هذا

---

[١] قابل اصحاح ٣: ١٥ من الخروج

الموضع في الظاهر ذكر التوحيد والغز عن سر الثالوث حيث قال اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب فكرر بذلك القول ذكر الثلثة الاقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان قديماً فهو واحد ذو ثلثة اقانيم لا محالة لانه اجمل في قوله اله ابائكم ثم قال مكرراً اسم الجلالة ثلث مرات افتقول انها ثلثة آلهة ام اله واحد مكرراً ثلث مرات فان قلنا انها ثلثة الهة اشركنا وجئنا باشنع القول وامحله وان قلنا اله واحد مكرراً ثلث مرات فنكون قد بخعنا الكتاب حقه لانه قد كان يمكنه ان يقول اله ابائكم ابراهيم واسحق ويعقوب وانما كرر ذلك للاشارة بان في هذا الموضع سراً وهو ان الله واحد ذو ثلثة اقانيم فثلثة اقانيم اله واحد واله واحد ثلثة اقانيم فاي دليل اوضح واي نور اضوى من هذا الا لمن عاند الحق واراد ان يغش نفسه ويعمي عين تمييزه ويصم سمع عقله عن استماع سر الله الذي اودعه في كتبه التي انزلها على انبيائه وهي اكرمك الله في ايدي اصحاب التوراة الى هذه الغاية لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السر الذي هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وافهمناه فقد علمنا الآن ان ابراهيم كان منذ ولد الى ان اتت عليه تسعون سنة حنيفاً عابد صنم ثم آمن بالله الى ان قبض فانت اصلحك الله تدعوني الى دين ابراهيم وملته فليت شعري الى اي مذهبية ودينية تدعوني وفي اي حالتيه ترغبني احيث كان حنيفاً يعبد الصنم المعروف بالعزى مع آبائه واهل بيته وهو بحران ام حيث خرج عن الحنيفية ووحد الله وعبده

وآمن به وانتهى الى امره عنـدما امره ان ينتقل عن بلده فانتقل طائعاً عن حران دار الكفرة ومدينة اهل الضلالة فلا اظنك تستجيز في عقلك وحسن تمييزك وجودة معرفتك التي زعمت بالكتب المنزلة ودراستك اياها ان تدعوني الى مثل حال ابراهيم في كفره وضلاله من عبادة الاصنام التي هي الحنيفية وان كنت تدعوني الى حاله وقت ايمانه وما حسب له من البر وقت توحيده فاليهودي ابن ابراهيم اولى بهذه الدعوة منك لانه هو صاحب تراث اسحق الذي ورث هـذا التوحيد عن ابراهيم ابيه وهو اولى منك واحق بهذا الامر فما لك والظلم والحيف والجنف وطلب ما لم يجعله الله لك حقاً فانت دائمـاً تنسب ذاتك الى العدل وتصفها بهذه الصفة وصاحبك يقر في كتابه ويقول طائعاً انه قيل له «قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين» (الانعام) أفلا ترى انه اول من اظهر الاسـلام وان قبله ابراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين لان صاحبك قد اقر بانه هو اول من اسلم وفي هذا الجواب لهذا الباب كفاية وامر مقنع لذوي الالباب. فان ابيت اصلحك الله الا الوكالة بالخصومة والاحتجاج عن اليهود فانت تعلم ما يجب لنا عليك في الحكم اذا نحن طالبناك باقرار اليهودي بتوكيله اياك فان ثبتت وكالتك له فبتمهلنا عليك ومسامحتنا لك في هذا الموضع ان نأخذ منك اقرارك انك قد اقمت نفسك ونصبتها منصب الخصم عن اليهود وانا لا ارى لشرفك وحسبك ان احلك بهذا المحل واقيمك

هذا المقام وان كنت انت احللته نفسك واني اسألك عن هذا الواحد الذي دعوتنا الى الاقرار بوحدانيته كيف تفهمنا انه واحد وعلى كم نحو يقال للواحد واحداً فاذا انبأتنا بذلك علمنا انك صادق فيما ادعيت من عبادة هذا الواحد وان الفيت غير عالم به فاين تبصرك الا تعلم ان الواحد لا يقال واحداً الا على ثلثة اوجه اما في الجنس واما في النوع واما في العدد ولست ارى احداً يدعي غير هذا او يقدر ان يجد غير هذه الاوجه الثلثة ان كان ذا لب وادراك لما يقول وانما اناجيك بهذه المناجاة واخاطبك بما يخاطب به ذو العقل والرأي الراسخ في العلم الداخل في الامور بدراية وفهم لانك ايدكِ الله لست عندي من الجهال الذين اذا اوردت عليهم مسألة غامضة تلطف عن غلظ طباعهم وجفاء اذهانهم عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الاجابة عنها لقلة علمهم فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله. نعم سبحان الله ابداً حتى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة من كل لسان ناطق وشفة متحركة. فعلى اي وجه تصف الله جل وعز واحداً من هذه الوجوه التي ذكرتها لك أفي الجنس ام في النوع ام في العدد فان قلت انه واحد في الجنس صار واحداً عاماً لانواع شتى لان حكم الواحد في الجنس هو الذي يضم انواعاً كثيرة مختلفة وذلك مما لا يجوز في الله تعالى وان قلت انه واحد في النوع صار ذلك نوعاً عاماً لاقانيم شتى لان حكم النوع يضم اقانيم كثيرة في العدد وان قلت انه واحد في العدد كان ذلك نقضاً

لكلامك انه واحد فرد صمد لأني لا اشك في انه لو سألك سائل عن نفسك فقال لك كم انت لا تقدر ان تجيبه بانك واحد فرد فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تفضل الملك عن سائر خلقه وليتك مع وصفك اياه بالعدد كنت وصفته ايضاً بالتبعيض والنقصان اتراك لا تعلم انت الرجل الذي فتشت الكتب وقرأتها وناظرت اهل الملل المختلفة وفهمت اعتقاداتهم ان الواحد الفرد بعض العدد لان كمال العدد ما عم جميع انواع العدد فالواحد بعض العدد وهذا نقض لكلامك فان قلت انه واحد في النوع فالنوع ذوات شتى لا واحد فرد وان قلت واحد في الجوهر وجب ان نسألك هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد او انما تعني واحداً في النوع واحداً في العدد لانه عام فان قلت قد تخالف هذه تلك قلنا لك حد الواحد في النوع عند اهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق اسم يعم افراداً شتى وواحد الواحد ما لا يعم غير نفسه أفتقر انت ان الله واحد في الجوهر يعم اشخاصاً شتى او انما تصفه شخصاً واحداً وان كان معنى قولك بانه واحد في النوع واحد في العدد فانك لم تعرف الواحد في النوع ما هو وكيف هو ورجعت الى كلامك الاول انه واحد في العدد وهذه صفة المخلوقين كما قدمنا آنفاً وان قلت هل تقدر انت ان تصف الله واحداً في العدد اذا كان كزعمك لواحد في العدد بعضاً وليس بكامل قلنا لك انا نصفه واحداً كاملاً في الجوهر مثلثاً في العدد اي في الاقانيم الثلثة

فقد كملت صفته من الوجهين جميعاً اما وصفنا اياه واحداً في الجوهر فلاعتلائه جل وعز عن جميع خلقه وبريته محسوسة كانت او غير محسوسة لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره بسيط غير كثيف وروحاني غير جسماني اب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب واما في العدد فلأنه عام لجميع انواع العدد لان العدد لا يعد وان تكن انواعه نوعين زوجاً وفرداً فقد دخل هذان النوعان في هـذه الثلثة فباي الانحاء وصفناه لم نعدل عن صفة الكمال شيئاً كما يليق به ذلك لتعلم ان وصفنا الله واحداً ليس على ما وصفته انت اكرمك الله وارجو ان يكون هـذا الجواب مقنعاً لك وللناظر في كتابنا هذا اذا نظر بعين الانصاف ان شاء الله . واعلم اصلحك الله انه كان يمكننا ان نعقد الكلام في هـذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع لكننا احببنا ان يكون كلامنا سهلاً يفهمه كل من قرأه واستملى منه وكي لا تستثقله الاسماع وينفر منه الذهن وينبغي لك اصلحك الله ان تعلم ان مناضلتنا في هـذا الامر كمناضلة الاخوة المشتركين في بضاعة واحدة ورثوها عن ابيهم فكل فيها مشترك ليس بعض فيها دون بعض فانت ونحن في الكلام سواء فما جاء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجب الحق فينبغي لك ان تعترف به ولا تنكره فانا لا ندع الاستقصاء وبلوغ الغاية القصوى في الذب عن حقنا ودحض حجة من اراد ابطال حجتنا وامرنا وحاول

ظلمنا . واما قولك انه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفواً احد فان انت ابقاك الله انصفتنا والانصاف اشبه بك واولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول والزمتنا قانون الحق اقررت لي بهذا ان الذي الزمه ان له خليلاً وله حبيباً وله صفياً هو الذي شنع عليه والزمه ان له صاحبة وانه اتخذ ولداً وكان له اكفاء واما نحن اصلحك الله فلا نقول ان الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ولا انه اتخذ ولداً ولا انه كان له كفواً احد ولا نصف الله جل وعز بمثل هذه الرذائل والخسائس من صفات التشبيه وانما هذه الشبهات لكم من قبل اليهود حيث ارادوا كيدكم بذلك فلفقوا هذه القصص التي يقصونها على ظهر الطريق وفي الشوارع فيتكلمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام والا فانت تعلم اذ كنت ذا علم بالكتب ان ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكر فتقبله عقولنا او نتكلم به وانما هو كتابك الذي اكثر التشنيع علينا وادعى على المسيح سيدنا ومحيي البشر الدعاوي التي لم يقلها قط مما اكره تطويل كتابي به وتعريف القصة في تناقضه والاخبار باسبابه وكيف كان ذلك من حيلة وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب المعروف بالاحبار اولاد اليهود وكيدهم ونعتهم وكيف احتالوا في ادخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا بل وعليكم وان فحصت عن ذلك في كتابك عرفت حقيقته . فاما نحن فلم نقل قط ولا نقول ابداً ان الله تبارك وتعالى اتخذ صاحبة وولد ولداً وليس قولنا ان لله ابناً وهو الكلمة الخالقة قول من

قال انه اتخذ ولداً وانت حرسك الله تعلم ما في هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وروحه ونحن نقول ان الله الازلي بكلمته لم يزل حليماً رؤوفاً وانما وصفناه تبارك وتعالى بالرحمة والرأفة والملك والعز والسلطان والجبروت والتدبير وما اشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من افعاله وقد اخبرت عنها عقول الناس واشتقوها له اشتقاقاً لاجل فعله اياها فاستوجبها جل وعز بالكمال والحقيقة كما استوجب جميع ما سمي به من اجل فعله له فاما صفات ذاته تبارك وتعالى فجوهر ذو كلمة وروح ازلي لم يزل متعالياً مرتفعاً عن جميع النعوت والاوصاف . ولننظر الآن في هذه الصفات من حي وعالم اهي اسماء مفردة مرسلة ام اسماء مضافة تدل على اضافة شيء الى شيء ويجب علينا ان نعلم ما الاسماء المضافة وما الاسماء المفردة المرسلة فاما الاسماء المرسلة فهي كقول القائل ارض او سماء او نار او ماء او كل ما كان بما قيل شبيهاً مما لا يضاف الى غيره واما الاسماء المضافة الى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم وما اشبه ذلك فالعالم عالم بعلمه والعلم علم عالم والحكمة حكمة حكيم وهذا القول نظير لما وصفنا ونقتصر عليه لئلا يخرج بنا اتساع الكلام الى الكثرة . فاذ قد بينا ما الاسماء المفردة وما الاسماء المضافة المنسوبة الى غيرها وجب ان نسألك عن الموصوف بهذه الصفة ألازمة هي لجوهره في ازليته ام اكتسبها له اكتساباً واستوجب الوصف بها من بعد كما استوجب ان يوصف أن له خليقة حيث خلق وسائر ذلك مع ما لم اذكر من اسماء يسمى بها وصفات

تجلى بها لفعله اياها. فاذا قيل كما يوصف تعالى انه كان ولا خلق حتى اتى على ذلك بالفعل كذلك يجوز ان يقال انه كان ولا حياة له ولا علم ولا حكمة حتى صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة وهذا محال من الكلام ان يكون الله جل وعز طرفة عين خلواً من حياة وعلم وان قلت ان الامر غير ما ظننت ووصفت لما يلزمك من الشنعة لانه قد يوصف ان لله خليقة قبل ان يقارن شيئاً منها بالفعل قلنا انما هما وجهان اما ان يكون الله وحده ازلياً وما سواه محدثاً او ان تزعم ان البرية والخلائق ازلية ايضاً غير محدثة فلا احسبك الا ناقضاً على من يصف الخالق بشيء من ذلك فاذن لا محالة يقال ان الله وله الحمد قد كان من غير ان يكون شيء من الخلائق موجوداً فكيف جاز ان يوصف بان له خليقة اذ لم يخلق بعد حتى اتى الوقت الذي فيه شاء ان يخلق ما خلق فخلق فان قلت من اجل انه قادر على ان يخلق اذا اراد وجب ان يوصف بان له خلقاً منذ الازل قلنا يلزم على هذا انه قد اقام القيامة واحيى الموتى وبعث من في القبور وقد ادخل الجنة جميع الابرار وملأ جهنم بمن كان مستوجباً لذلك منذ الازل لانه قادر على ذلك مع اني لا اظن ان احداً من العقلاء يقول بهذه الصفة فينبغي ان نرجع اصلحك الله الى ما يوجبه العقل في المناظرة ونعلم ان الصفات في الله تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعية ذاتية لم يزل متصفاً بها وصفة اكتسبها له اكتساباً وهي صفة فعله فاما الصفات التي اكتسبها اكتساباً من اجل فعله فمثل رحيم وغفور ورؤوف

واما الصفات المنزلة التي هي الطبيعية الذاتية التي لم يزل جل وعز متصفاً بها فهي الحياة والعلم فان الله لم يزل حياً عالماً فالحياة والعلم اذاً ازليان لا محالة. فقد صحت نتيجة هذه المقدمات ان الله واحد ذو كلمة وروح في ثلثة اقانيم قائمة بذاتها يعمها جوهر اللاهوت الواحد فهذه هي صفة الواحد المثلث الاقانيم الذي نعبده وهذه الصفة التي ارتضاها لنفسه ودلنا على سرها في كتب ديوانه المنزل على السن انبيائه ورسله فاوّل ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث اعلمه كيف خلق آدم فقال في السفر الاول من كتاب التوراة « في البدء الآلهة[1] بَرَاَ السموات والارض » فبهذا يشير الكتاب المقدس الى تثليث الاقانيم ووحدة الطبيعة لانه بقوله الآلهة بصيغة الجمع يشير الى الاقانيم الآلهية الثلثة وبقوله بَرَاَ بضمير المفرد يشير الى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو للاقانيم الالهية الثلثة وقال ايضاً في هذا السفر ان الله قال عند خلقه آدم « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » ولم يقل عز وجل اعمل على صورتي وشبهي. وقال تبارك وتعالى في الاصحاح الثاني من هذا السفر عندما اراد ان يخلق حواء « لا يجل ان يكون آدم وحده فلنجعل[2] له معيناً

(١) لان الاصل العبراني (الوهيم) وهي تفيد الجمع وحيث ان الجمع العبراني لا ينطبق على الجمع العربي قد ترجم في ترجمة سنة ١٩٨٦ بصيغة المفرد هكذا « في البدء خلق الله السموات والارض » (٢) هكذا بالعبراني معناه وفي الترجمة الحالية فاصنع بصيغة المفرد على ما علمت

مثله » ولم يقل اجعل وقال جل وعز ان آدم « قد صار كواحد منا » توبيخاً له بذلك من اجل خطيته ومعصيته الوصية في اكله من ثمر الشجرة التي امره الله ألاَّ يا كل منها فعصاه وا كل فورث بذلك موت الخطية ولم يقل تبارك وتعالى مثلي. وقال عز وجل في موضع آخر ايضاً من هذا السفر « هلمَّ ننزل فنبلبل هناك لسانهم » وذلك انهم اجتمعوا ليبنوا صرحاً يكون رأسه في السماء ففرق الله ضعف رأيهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه من بناء صرح شامخ يصير لهم ملجاء ومهرباً من الطوفان اذا جاءهم مرة اخرى والله تبارك وتعالى عالم انه قد كان عاهد نوحاً انه لا يأتي الطوفان مرة اخرى على وجه الارض وكان بناء هؤلاء والفكر فيه سخفاً وسفهاً فغير السنتهم ليتعطلوا عن انفاذ فكرهم الذي لا معنى له ولم يقل انزل فأبلبل. فهذا ما ناجى الله به موسى فخبرنا بهذا السر في الاقانيم الثلثة عن الله تبارك وتعالى افترى لنا اصلحك الله ان ندع كلام الله عز وجل والسر الذي اودعه موسى نجيه وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التي لا يمكن احداً من الآدميين ان يأتي بمثلها وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له وتقبل قول صاحبك بلا حجة ولا آية ولا اعجوبة ولا دليل واضح ولا برهان ساطع حيث يقول ان الله فرد صمد ثم يرجع فيناقض قوله و يقول ان له روحاً وكلمة فهو قد وحَّد وثلَّث من حيث لم يعلم وما اظنك ترى ذلك صواباً اذا انت انصفتنا. ودانيال النبي يخبرنا في كتابه ان الله قال لبختنصر

لك يقولون يأنوخذ نصر ولم يقل لك اقول. وفي كتابك ايضاً شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى فعلنا وخلقنا وامرنا وأوحينا واهلكنا ودمرنا مع نظائر لهـذه كثيرة افيشك احد يعقـل في ان هذا القول قول شتى لا قول فرد فان ادّعيت ان العرب قد اجازت هـذا القول واستعملته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفخّم قلنا لك ايها المانق للكلام انه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلق فاما اذ قد سبق العرب العبرانيون والسريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوي الالسنة المختلفة على غير تواطؤ فليس ما وصفت من اجازة العرب ذلك حجة مع انه من اين اجازت العرب هـذا فان قلت بلى قد اجازته حيث يقول الرجل الواحد منهم امرنا وارسلنا وقلنا ولقينا وما اشبه ذلك تقول لك ان ذلك صحيح جائز في المؤلف من اشياء مختلفة والمركب من اعضا غير متشابهة لان الانســان واحد كثيرة اجزاؤه فاول اجزاء من الانسان النفس والجسد والجسد مبني من اجزاء كثيرة واعضاء شتى فلذلك جاز له ان ينطق بما وصفت من قولنا وامرنا واوحينا اذ هو عدد واحد كما ذكرت فان قلت ان ذلك تعظيم لله جل وعز واجلال له وتفخيم ان يقول ارسلنا وامرنا واوحينا قلنا لك لعمري لو لم يقل ذلك من ليس بمستحق للتعظيم لجاز قولك ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلمنا انه واحد ذو ثلثة اقانيم قد نطق بكلتي الصيغتين من امرت وامرنا وخلقت وخلقنا واوحيت واوحينا فان الاولى دليل على الوحدانية

والثانية على تعدد الاقانيم وبيان ذلك قول موسى النبي عن الله تعالى في التوراة التي انزلها ما معناه ان الله ترأى لابرهيم وهو في موضع بلوطات ممرا جالساً على باب خبائه في وقت استحرار النهار فرفع ابرهيم عينيه فرأى ثلثة رجال وقوفاً بازائه فبادر اليهم واستقبلهم قائلاً «يا سيد ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك» الا ترى ان المنظور اليه من ابراهيم ثلثة وان المخاطبة مخاطبة شخص واحد فسماهم رباً واحداً وتضرع اليه سائلاً طالباً ان ينزل عنده. فعده الثلثة من الاقانيم الثلثة وتسميته اياهم رباً واحداً لا ارباباً من الجوهر واحد فهي ثلثة بحق وواحد بحق كما وصفنا. ثم ان موسى اخبر ان الله قال له «اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد» معنى ذلك ان الله الموصوف بثلثة اقانيم هو رب واحد. وداود النبي يقول في المزمور الثالث والثلثين عن الله تعالى «بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها» فأفصح داود وصرح بالثلثة الاقانيم حيث قال الله وكلمته بنسمة فهل زدنا في وصفنا على ما قال داود. ثم انه قال في موضع آخر في كتابه تحقيقاً بان كلمة الله اله حق «لكلمة الله اسبح» فان كان داود عندك يسبح لغير الله ما اظنك تقول هذا. ثم انه يقول في موضع آخر من كتابه «مبارك الرب يوماً فيوماً يحملنا اله خلاصنا» أفداود كان يطلب ان يبارك عليه اله واحد ام الهة ثلثة ولكنه رمز في كتابه الى ذكر الثلثة الاقانيم انها اله واحد. وقال اشعياء النبي المحمود من الله تعالى في

الاصحاح الثامن والاربعين «لم اتكلم من البدء في الخفاء منذ زمان وجوده انا هناك والآن السيد الرب الاله ارسلني وروحه» وهذا هو قولنا ثلثة اقانيم اله واحد ورب واحد لم نخرج عن حدود كتب الله المنزلة ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئاً ولا بدلناها ولا حرفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ولسنا ندع مناظرتك في التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل اذا نظر في كتابنا هذا انك قد ظلمتنا فيه بل ظلمت الحق وادعيت علينا فعلاً لم نكن نفعله ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد ان شاء الله تعالى

ولنرجع الآن الى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونوفيك الشهادات من كتب الله المنزلة ومن ديوان اسراره المقدسة على صحة قولنا وحقنا الذي بايدينا وصدق منهاجنا ونستعين بالله على ذلك . ثم وصف اشعيا النبي ان الله عز وجل تراءى له والملائكة حافون به مقدسون له قائلين «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الارض» (اشعياء ص ٦ ع ١—٣) فتقديس الملائكة ثلث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر لتقديسهم الاقانيم الثلثة الهاً واحداً وربًّا واحداً وهذا شأنهم منذ خلقوا الى ابد الابدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى ولو شئت ان امطر عليك الشهادات من الكتب المقدسة المنزلة بالتصريح والاجتهاد في القول في ان الله جل وتعالى واحد ذو ثلثة اقانيم لفعلت ذلك لكنني اكره التطويل فاقتصرت على

ما كتبت ولما ذكرته في كتابك من انك درست كتب الله المنزلة حق دراستها فان كنت قد درستها كما ذكرت فقد استدللت بيسير ما كتبت به اليك على كثير ما في كتب الله المنزلة من اسرار اقانيمه وتوحيده. فانا ابقاك الله ادعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي قد اوضحته لك وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضي به عقلك الى عبادة هذا الواحد الذي قد شرحت لك كيف هو واحد ثلثة وثلثة واحد وليس كدعائك اياي الى امر مدغم مبهم مجهول غير معقول. فاستعمل انار الله عقلك وقلبك ما ضمنته عن نفسك فان الوفاء من الله بمكان. وينبغي لك اصلحك الله ان تميز الكلام وتعلم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه. وليس دعائي اياك الا الى الله الواحد الذي هو ثلثة اقانيم كامل بكلمته وروحه واحد ثلثة وثلثة واحد. ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلثة كما شنع في القول علينا صاحبك اذ قال «لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم» (مائدة) فهذا قول صاحبك. ولقد كنت احب اكرمك الله ان اعلم من هؤلاء الذين يقولون ان الله ثالث ثلثة أمن فرق النصرانية هم ام لا وانت قد ادعيت معرفة الفرق الثلث وهي لعمري الفرق الظاهرة فهل تعلم ان احداً منهم يقول ان الله ثالث ثلثة فما اظنك تعرفه ولا نحن نعرفه ايضاً اللهم الا ان يكون اراد صفاً يسمون المركيونية فانهم يقولون

بثلثة اكوان يسمونها آلهة متفرقة فواحد عدل وآخر رحيم وآخر شرير وليس اولئك نصارى ولا يسمون بهذا الاسم فاما اهل النصرانية فكل من ينتحل هذا الاسم فهو بريء من هذه المقالة جاحد لها كافر بها وانما قولهم ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق وقد اقر صاحبك بهذا اذ حثكم على الايمان بالمسيح سيد العالم ومخلص البشر وامركم بذلك ودعاكم اليه بقوله «يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد» (نساء)

فافهم كيف اوجب ان الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح وصرح بان المسيح كلمة الله تجسدت وصارت انساناً فهل يكون من البيان والشرح او من الايضاح والتصريح اكثر من هذا. ثم ختم بقوله ولا تقولوا ثلثة الهة او يتوهم ذلك عن الله جل وعز بل انتهوا عنه فانه لعمري خير لكم ألاَّ تقولوا بمقالة مركيون الكاذب الجاهل انها ثلثة الهة. فقد شرحت لك اكرمك الله كيف مذهبنا ومعنى قولنا ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلثة اقانيم وقد اوضحته ايضاحاً يكون فيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية ونفع اذا لطف النظر ودقق الفكر ونصح لنفسه ان شاء الله تعالى

فلنرجع الآن الى الباب الآخر من كتابك ونجيبك عنه فاقول. قد

فهمت ما دعوتني اليه من الشهادة لصاحبك والاقرار بنبوته ورسالته وما عظمت من امره فاما تعظيمك اياه وتفخيمك امره فلسنا نجادلك فيه ولا نرده عليك وليس عندنا فيه الا تسليمه لك والسكوت عنك اذ كنت اولى الناس بقرابتك وقرابتك اولى الناس بك وانما نحن مناظروك في ما دعوتنا اليه من الاقرار بنبوته بان ذلك حق واجب . فان كان ذلك حقاً واجباً فليس ينبغي لنا ولا لاحد ذي عقل ان يمتنع او يتعض من قبوله فانه لا يمتنع من الاقرار بالحق الا ظالم معتد او جاهل بمعرفة قدر الحق وان كان ذلك غير الحق فلا ينبغي لك ان تقيم على غير الحق فكيف تدعونا اليه فانك اذا فعلت هذا كنت ظالماً لنفسك اولاً ثم متعدياً على من تدعوه الى غير الحق فلنطرح الآن من بيننا العصبية ولنفحص عن اول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا الى الاقرار له بالنبوة ونشرحها من اولها الى آخرها ونختبرها اختباراً شافياً او نتناظر فيها مناظرة انصاف كي لا نميل الى الهوى الذي يرى بعين الغرض والجور فان هذا امر جليل الخطب عظيم القدر شريف المنزلة وعلى حسب ذلك يجب ان يكون النظر فيه والبحث عنه بتأنّ وتروٍّ

ألست تعلم اكرمك الله ونحن معك ان هذا الرجل كان يتيماً في حجر عمه عبد مناف المعروف بابي طالب قد كفله عند موت ابيه وكان يعوله ويمنع عنه وكان يعبد الاصنام اللات والعزى مع عمومته واهل بيته

بمكة على ما حكى هو في كتابه واقر به على نفسه حيث قال «الم يجدكَ يتيماً فآوَى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فاغنى» (ضحى) أفلا ترى انه قد اوجب بهذا القول الاقرار بانه كان يتيماً فاواه وضالاً فهداه وعائلاً فاغناه . ثم نشأ في ذلك الامر حتى صار في خدمة عِير لخديجة بنت خويلد يعمل فيها باجرة و يتردد بها الى الشام وغيرها الى ان كان ما كان من امره وامر خديجة وتزوجه اياها للسبب الذي تعرفه . فلما قوّته بمالها نازعته نفسه الى ان يدعي الملك والترؤّس على عشيرته واهل بلده فرأى ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه الا قليل من الناس بعد المواربة المجحفة وانت اكرمك الله عالم بمرارة انفس قريش وشدة ابائها لمثل هذا وشبهه من الضيم فعندما ايس مما سوّلت له نفسة ادعى النبوة وانه رسول مبعوث من رب العالمين فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته ما هي ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم من ضرر منه وانما هم قوم عرب اصحاب بدو لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة لانه لم يبعث فيهم نبي قط وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا وكيف كان سببه ثم انه استصحب قوماً فراغاً اصحاب غارات ممن يصيب الطريق على سنة البلد وعادة اهله الجارية عندهم الى هذه الغاية فانضم اليه هذا الضرب واقبل يبث الطلائع و يدسس العيون و يبعث الى المواضع التي ترِد القوافل اليها من الشام بالتجارات

فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فيأخذون العير والتجارات ويقتلون الرجال . والدليل على ذلك انه خرج في بعض ايامه فرأى جمالاً مقبلة من المدينة الى مكة وكانت الجمال لابي جهل بن هشام ويسمى ذلك غزواً على سبيل ما تسميه اعراب البادية اذا خرجت للغارة على السابلة واصابة الطريق وكان اول خروجه من مكة الى المدينة بهذا السبب وهو حينئذ ابن ثلث وخمسين سنة بعد ان ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ثلث عشرة سنة ومعه من اصحابه الذين قد الفوا معه ولصقوا به اربعون رجلاً وقد لقي كل جهد وكل اذى من اهل مكة لانهم كانوا به عارفين فاظهروا ان طرده لادعائه النبوة وعقد باطنهم لما صح عندهم من اصابته الطريق . فصار مع اصحابه الى المدينة وهي يومئذ خراب يباب ليس فيها الا قوم ضعفاء اكثرهم يهود لا حراك بهم فكان اول ما افتتح به امره فيها من العدل واظهار نصفة النبوة وعلامتها انه اخذ المربد الذي للغلامين اليتيمين من بني النجار وجعله مسجداً . ثم إنه بعث اول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ثلثين راكباً الى العيص من بلد جهينة يعترض عير قريش وقد جاءت من الشام فلقى ابا جهل بن هشام في ثلثمائة رجل من اهل مكة فافترقوا لان حمزة كان في ثلثين فخاف لقاء ابي جهل وفزع منه فلم يكن بينهم قتال . فاين شروط النبوة اصلحك الله في هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى في التوراة المنزلة من عنده لموسى حيث وعده ان يدخل بني

اسرائيل الذين اخرجهم من مصر الى ارض الجبابرة المسماة ارض الميعاد وهي ارض فلسطين والشام ان الواحد يهزم الفاً والاثنين يهزمان ربوة لما القيت في قلوبهم من الفزع والرعب وكذلك كان فعله جل وعز بهم على يدي يشوع بن نون المتولي ادخال بني اسرائيل ارض الميعاد ومحاربة اهل فلسطين. فهذا اكرمك الله حد ما يطالب به في هذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك . فلنرجع الآن اذ ليس عندك في هذا جواب وكنت من ذلك صفراً مفلجاً انت وجميع من يعتقد مثلك مقالتك فنقول اما ان يكون حمزة هذا رسول نبي مبعوث وهو عمه وعن امره خرج ومعه ثلثون راكباً وهو على حق عند نفسه فانحاز فرقاً من ابي جهل وهو كافر مشرك وانما معه ثلثمائة رجل كفار مشركين عباد اوثان ولم يحاربه بل سالمه او يكون هذا خلاف ما تدعيه انت انه نبي مرسل وان الملائكة تؤيده وتقاتل دونه كما كانت تقاتل مع يشوع بن نون فانه رأى ملكاً [1] في زي فارس فلم يعرفه يشوع فقال له أمن اصحابنا انت ام من اعدائنا فقال له الملك انا عظيم جيوش الرب والساعة اقبلت فخرّ يشوع بوجهه على الارض ساجداً وقال «ما يأمر السيد عبده» فقال رئيس جيوش الرب «انزع خفيك من قدميك لان المكان الذي انت فيه مكان

---

[1] قابل يشوع ٥:١٣—١٥

مقدس» ففعل يشوع ذلك. وفي هذا القول من الملك ليشوع سر ليس هذا موضعه وكان يشوع في ذلك الوقت محاصراً اريحا فلمــا اتى على ذلك سبعة ايام فتح يشوع اريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكر وانثى كما امره ملك الرب فما اظنك ايدك الله انك تجد في ذلك جواباً لانك خلو من ذلك. ولنذكر ايضاً غزوة صاحبك الثانية لعله يكون لك فيهــا ادنى جواب. ثم بعث في الثانية كما علمت عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكباً ليكون ضعف العدة الاولى فيقوي قلوبهم الى بطن رابغ بين الابواء والجحفة فلقي ابا سفيان بن حرب وابو سفيان في مايتي راكب فكان بينهم
من الدماء ما قد علمت ثم رجعوا فما رأيت احداً من الملائكة اعانهم ٨
على امرهم بشيء وقد شــهدت انت ان جبرائيل كان في صورة رجل راكب رمكة شهباء عليه ثياب خضر وقد ركب فرعون بجنوده على اربعمائة الف حصان في طلب بني اسرائل فلما توسط بنو اسرائيل البحر قحم جبرائيل على الرمكة في اثرهم قائلاً قدم خير فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون واصحابه فنجا بنو اسرائيل وغرق فرعون واصحابه. هذه شهادتك واقرارك ببعض علامات موسى النبي التي اتى بني اسرائيل وانت صاحبك خلو من هذا كله. ولا بد لنا ان نأتيك بالثالثة فاصبر لها طائعاً او مكرهاً. ثم بعث سعد بن ابي وقاص الى الخرار خارج الجحفة في عشرين رجلاً فورد الموضع وقد سبقته العير قبل ذلك بيوم ففاته امله ورجع خائباً

من رجائه. فهذه ا كرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما فعله نبي الله صموئيل بشاول ولست شاكاً في معرفتك بالقصة على ما حكيت انك عارف بالكتب المنزلة دارس لها حق دراستها وذلك ان قيساً ابا شاول غارت له اتن فوجه ابنه شاول في طلبها وصار شاول الى صموئيل النبي فقال له في بعض قوله ما معناه وهو يخاطبه قبل ان يعلمه خبر ما جاء لاجله اما الاتن فرجعت الى بيت ابيك واما ابوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الاتن . فهكذا تكون شروط النبوة اصلحك الله التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيب المستقبل فتخبر الانبياء عنه وتذكر كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يظهر لهم الروح القدس معطي علم الغيب الذي هو نهاية الدلالات على النبوات . وقد قال المسيح الرب في انجيله النير الطاهر المقدس ما معناه ان الشهادة العادلة الصادقة هي الكائنة من قبل رجلين عدلين صادقين او ثلثة عدول فتلك واجب قبولها وقد انبأناك في فصل كتابنا هذا بثلث شهادات عدل لك فيهن مقنع . فلننظر الآن بعد الغزوات الثلث التي خرج فيها هوءلاء النفر ومن خرج معهم بامر صاحبك فانصرفوا فرغاً . وخرج هو بنفسه مع اصحابه يريد عيراً لقريش فانتهى الى ودان فوافاه مجشي بن عمر الضمري فلم يطقه ورجع صفراً . ثم خرج ثانياً الى بواط وهي في طريق الشام في طلب عير لقريش فيها امية بن خلف الجمحي ورجع ولم يصنع شيئاً. ثم خرج ثالثاً الى ان وصل الى ينبع في طلب عير لقريش ايضاً يريد الشام وهي العير

التي كان القتال يبدر بسببها في رجعتها فرجع صفراً ولم يصنع شيئاً . فانصف اصلحك الله في هـذه المواضع وانت اهل لذلك ان كان صاحبك نبياً كما تدعي . فما للانبياء وشن الغارات والخروج لاصابة الطرق والتعرض لأخذ امتعة الناس . وما الذي ترك صاحبك هـذا للصوص وقطاع الطريق . وما الفرق بينه و بين اتابك الخزمي هذا الذي قد تناهى الى سيدنا امير المؤمنين والينا خبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس . فاجبنا إن يكون عندك في هذا جواب واضح . واني لاعلم انه لا جواب عندك ولا عند غيرك ممن اعتقد مثل اعتقادك كما لم يكن عندك في غيره مما سلف . ثم لم يزل كذلك الى ان وجد القوم الذين خرج في طلبهم في ضعف فاستاق عيرهم واخذ تجارتهم وقتل من امكنه قتله من رجالهم وان وافاهم وهم في منعة وقوة انحاز عنهم وولى هارباً الى ان مات . فكانت مغازيه بنفسه ستاً وعشرين غزوة سوى السرايا التي كانت تخرج في الليل والسواري الخارجة نهاراً والبعوث قاتل منها في تسع غزوات والباقية كان يبعث فيها اصحابه . ثم اعجب من هـذا في قبح الاحدوثة والشناعة في الفعل والفظاظة توجيهه الى واحد واحداً يقتله بالغيلة كتوجيهه عبد الله بن رواحة لقتل اسير بن دارم اليهودي بخيبر فقتله غيلة وكبعثه سالم بن عمير العمري وحده الى ابي عفك اليهودي وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله بالغيلة ليلاً وهو نائم على فراشه آمناً مطمئناً واحتج بانه كان يعيبه فاعلمنا اكرمك الله في اي كتاب قرأت هـذا

واي وحي نزل عليه به ومن اي حكم حكم على من اعاب ان يقتل فقد كان في تأديب هذا الشيخ على ذنبه شيءٌ دون القتل وخاصة ليلاً وهو نائم مطمئن آمن على فراشه فان كان اعابه بما كان فيه فقد صدق وليس يجب على من صدق قتل وان كان كذب عليه في قوله فليس يجب على من كذب القتل بل يؤدب لئلا يعود . وانت تعلم اصلحك الله انه ما ساغ لاحد ان يؤذي الطير في وكرها ليلاً وهي آمنة مطمئنة فكيف انسان يبعث اليه من يقتله وهو على فراشه لانه كان يعيبه الم يكن دون القتل شيءٌ آخر . اما في احكام الله فلا نجد هذا مطلقاً لاحد ولا في احكام العقل والطبيعة بل هذا لعمري فعل الشيطان قديماً بآدم وذريته منذ نزل به ما نزل فاين قولك اصلحك الله انه بعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافة . واما بعثه لعبد الله بن جحش الاسدي الى نخلة وهو بستان ابن عامر في اثنى عشر رجلاً من اصحابه ليأتيه باخبار قريش فلقوا بها عمرو بن الحضرمي في عير قريش وتجارة قد اقبل بها من اليمن فقتلوا عمراً واستاقوا العير الى المدينة ولما وردوا اخرج عبد الله بن جحش مما اغار عليه هو واصحابه الخمس فدفعه اليه . فهذا لا اقول انه حلال او حرام حتى اذا ما نظر فيه العادل يقول ما يوجبه العدل والانصاف . وكذلك ما فعل في قينقاع حيث صار اليهم بغير ذنب ولا علة الا الرغبة في اموالهم فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه واستوهبهم منه عبد الله بن ابي بن سلول فوهبهم له واخرجهم الى اذرعات بعد ان اخذ اموالهم

فقسمها بين اصحابه واخذ هو الخمس قائلاً هذا ما افاء الله على نبيه. فليت شعري كيف طاب له هذا وبماذا استحل ان يأخذ اموال قوم لم يؤذوه ولم يكن بينه وبينهم غل وانما استضعفهم وكانوا كثيري الاموال فما هكذا تفعل الانبياء ولا من يؤمن بالله واليوم الآخر. وغير هؤلاء ممن لا احب تطويل كتابي بذكرهم فيمل منه القارئ ويسأمه وفي ما وصفنا كفاية ليستدل به على غيره من مناقبه. فاما غزوة احد وما اصيب فيها من كسر رباعيته السفلى اليمنى وشق شفته وثلم وجنته وجبهته الذي ناله من عتبة بن ابي وقاص وما علاه به ابن قميئة الليثي بالسيف على شقه الايمن حتى وقاه طلحة بن عبيد الله التيمي بيده فقطعت اصبعه فهذا خلاف الفعل الذي فعله الرب مخلص العالم وقد سل رجل بحضرته على رجل سيفاً فضرب به على اذنه فاقتلعها فلما نظر المسيح مخلصنا الى ذلك من فضله عمد الى الاذن فردها الى موضعها فعادت صحيحة كالاخرى. والا حيث اصاب يد طلحة ما اصابها وقد وقاه بنفسه فلو دعا ربه فرد يده الى ما كانت عليه من صحتها لكانت هذه من احدى علامات النبوة. واين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيته وشق شفته ودمي وجهه وهو نبي من الانبياء وصفي من الاصفياء ورسول الله كما كانت الانبياء توقي من قبله كتوقية ايليا النبي من اصحاب اخاب الملك ودانيال من اسد داريوس وحنانيا واخوته الفتية البررة من نار بختنصر وغيرهم من الانبياء واولياء الله سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم

الا لاجله ومكتوب على سرادق العرش اسمه كما تدعون

ولكننا ندع ذكر هـذا الآن ونأخذ في قول ثان فنقول ان صاحبك هـذا افعاله خلاف قولك انه بعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافة لانه كان الرجل الذي لم يكن له فكر واهتمام الا في امرأة حسنة يتزوجها او قوم يغير عليهم فيسفك دماءهم ويأخذ اموالهم وينكح نساءهم ويشهد على نفسه انه حبب اليه الطيب والنساء وانه من علامات نبوته انه جعل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة اربعين رجلاً فلعمري ان هذا بعض آيات الانبياء التي لا تكون الا في مثله فاما تلك الهنات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد فاني اكره ذكر شيء منها اجلالاً لقدر كتابي هـذا عن ذكرها غير اني آتي بشيء مما حكاه في كتابه الذي يزعم انه انزل عليه من السماء واقر بلسانه اذ يقول: «واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدراً مقدوراً» (احزاب) ويكتفي كل ذي عقل من القصة بنموذجها اذ لا يخيل[1] ذلك على المميزين. وكذلك هناته مع

(١) يشتبه

عائشة وما كان من امرها مع صفوان بن المعطل السلمي في رجوعهم من غزوة المصطلق بتخلفها عن العسكر معه وقدومه بها من الغد نحو الظهيرة راكبة على راحلته يقودها وما قذفها به عبد الله بن ابيّ بن سلول وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة ابن خالة ابي بكر وزيد ابن رفاعة وحمنة بنت جحش اخت زينب وتبليغ علي بن ابي طالب اليه كلام المتكلمين وعيب العائبين وان فيه مساغاً للقول والظنة وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلاً يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة فلم يلتفت الى ذلك كله لشدة اعجابه بها لانه لم يكن في من نكح من نسائه بكر غيرها ولا احدث سناً منها فكان لها من قلبه مكان وكانت خلابة [١] فرضي بما كان من ذلك الامر كله وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة و بين علي الى آخر حياتهما ثم ادعى نزول براءتها في السورة المعروفة بسورة النور من قوله «ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الخ» فهذه القصة نعرفها كمعرفتك والخبر بها مستفاض وعندنا مشروح مفسر لا يجب كشفه وكانت نساؤه فيما يظهر كما قد علمت خمس عشرة حرة وامتين اولاهن خديجة بنت خويلد ثم عائشة بنت ابي بكر وهو عبد الله المعروف بعتيق بن ابي قحافة . وسودة بنت زمعة . وحفصة بنت عمر وهي التي كان بينها و بين عائشة تلك الهنات العجيبة . وام سلمة واسمها هند بنت ابي

---

(١) خداعة بلسانها

امية وهي المخدوعة ام الاطفال التي زعم انه يذهب عنها الغيرة عندما متنعت عليه واحتجت بانها امرأة غيرى وانه يعول صبيتها لما اعتذرت انها ذات صبية وانها تخاف الا يرضاه اهلها فضمن لها ان يكفيها ذلك حتى اجابت اليه ثم لم يف لها من ذلك الضمان بحرف واحد وهي التي نحلها جرتين ورحى ووسادة من ادم حشوها ليف فحصلت منه على الدنيا والآخرة. وزينب بنت جحش امرأة زيد التي بعث اليها نصيبها من اللحم ثلث مرات فردته في وجهه فهجرها وهجر نساءه بسببها وحلف انه لا يدخل عليهن شهراً فلم يصبر فدخل لتسعة وعشرين. وزينب بنت خزيمة الهلالية. وام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان اخت معاوية . وميمونة بنت الحارث الهلالية. وجويرة بنت الحارث المصطلقية. وصفية اليهودية بنت حيي بن اخطب التي علمها ان تفخر على نسائه عند تعييرهن اياها وتقول انا التي هارون ابي وموسى عمي ومحمد زوجي . والكلابية وهي فاطمة بنت الضحاك وقيل انها بنت يزيد عمرة الكلابية وحنة بنت ذي اللحية. و بنت النعمان الكندية التي انفت منه حين قال لها هبي لي نفسك فقالت وهل تهب المليكة نفسها للسوقة . ومليكة بنت كعب الليثية ذات الاقاصيص . ومارية ام ابراهيم ابنه. وريحانة بنت شمعون القريظية اليهودية. فهؤلاء نساؤه اللواتي كن له وامتان — قال بولس رسول الحق رسول المسيح مخلص العالم ما معناه ان الذي له زوجة انما غايته ان يصرف عنايته الى رضى زوجته والذي لا امرأة له فعنايته

بمصروفة الى رضى ربه وقد صدق وقوله الحق لانه يحتاج ان يتشاغل ما يرضي امرأته وكما قال الرب المسيح ما ترجمته لا يقدر العبد ان يخدم ربين في وقت واحد ولا بد له من ان يلازم الواحد ويحتقر الآخر فاذا كان لا يمكن للرجل ان يخدم امرأة واحدة ويرضيها ولا يسخط خالقه فكم احرى من يريد ان يصرف عنايته كلها الى رضى خمس عشرة امرأة وامتين مع ما انت عارف من شغله بغيرهن الذي كان منغمساً فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرجال وسبي الحريم وسلب الاموال وتوجيه الطلائع وتعبية الكراديس لاصابة الطرقات وشن الغارات فمتى كان يقع له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الامور الفراغ للصوم والصلوة والعبادة وجمع الفكر وصرفه الى امور الآخرة وما شاكل ذلك من اعمال الانبياء ولست اشك في انه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا ولكن فلندع الآن ذكر هذا ونأخذ في ذكر اعلام النبوة التي يجب معها الاقرار لمن اتى بها بان يسمى نبياً ورسولاً وننظر في ما اتى به صاحبك وهل يوافق او يشبه شيئاً مما جاءت به الانبياء ويشاكله وهل يجب علينا قبول ذلك منه او رده عليه

فنقول ان النبي معناه المنبئ اي المخبر بالامر الذي لم يكن اتى به مخبر قبله فيخبر به قبل وقوعه او بالامر الذي كان ولم يعرف كيف حدوثه وانما يوثق باخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التي تصدق حكايته وتشهد على صحة اخباره وذلك مثل موسى نبي الله الذي اخبرنا

في السفر الاول من التوراة المدعو سفر الخليقة كيف كان خلق السموات والارض وما فيهما وكيف كان خلق آدم وحواء وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقوم نوح والطوفان وقصة ابراهيم وولده ولم يزل ينسق تلك الاخبار خبراً بعد خبر حتى انتهى الى خبره وكيف كان تجلى الله له في العوسجة ثم خبره مع بني اسرائيل وفرعون ومصر الى ان توفاه الله ويخلط مع انبائه ما وعد الله من ادخال بني اسرائيل ارض الميعاد وانه مزمع ان يورثهم ارض الجبابرة التي هي بلاد الشام وكان ذلك على ما انبا به وحقق ما اخبرنا به من الخبر الماضي بالآيات والاعاجيب التي فعلها فعلمنا انه كان صادقاً بكل حكاياته وما جاء به عن الله جل وعز. فهذه شريطة المنبئ بما كان وما يكون من الامور وعرفنا صدق ما قاله من الخبر المستقبل بصحة ما رأينا من وقوع الامر وتمامه عند دخول بني اسرائيل ارض الجبابرة بالايدي القوية فحصلت له بذلك شريطة المنبئ المخبر الذي لم يكن قبل حدوثه فقد وجب من هاتين الشريطتين ان موسى نبي بالحقيقة. فاما المنبئ بالخبر الذي لم يكن قبل وقوعه فيكون ذلك على وجهين . اما مع قرب الزمان وحضور الوقت واما على بعد الزمان وطول الايام والدليل على ذلك وتصحيحه الآيات والمعجزات والعجائب والجرائح التي هي اعلام النبوة الى ان يصح القول والانباء مثل الذي تنبأ به اشعياء النبي لحزقيا الملك حيث ورد عليه سنحاريب ملك الموصل بجيشه فحاصره وكاتبه بما كاتبه به من

البغي عليه والوعيد والاستطالة فشكا حزقيا ما دهمه به الى الرب فاوحى الله الى اشعياء النبي اني قد سمعت دعاء حزقيا فامض اليه وقل له يقول لك الرب اله اسرائيل الليلة تكفى مؤونة سنحاريب فلما كان تلك الليلة بعث الله ملكه فقتل من عسكر سنحاريب مائة الف وخمسة وثمانين الف رجل مدجج فلما اصبح سنحاريب ورأى ما نزل باصحابه ولى هارباً. ومثل قول اشعياء ايضاً لحزقيا حين كان مريضاً وقد اشفى ان الله قد اقالك من هذه المرضة وقد زاد في اجلك خمس عشرة سنة ودليلك على ذلك ان الشمس راجعة في مسيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبي ورجعت الشمس وبرأ حزقيا من مرضه ذلك وما توفي الا لتتمة خمس عشرة سنة فهذا انباء مع آية ودليل في وقت واحد[١] ومثله ما انبأ به عن امر الرب المسيح السيد جل وعز انه يولد من العذراء ويدعى اسمه عمانوئيل تفسير ذلك الهنا معنا[٢] وانبأ ايضاً باشياء كثيرة واخبر بها على بُعد العهد وطول الايام من خراب بيت المقدس وسبي بني اسرائيل الى بابل وكان ذلك على بُعد العهد وتأخره وصح كله وتم كما قال. ومثل ذلك ما اخبر به ارميا النبي عن خراب بيت المقدس ايضاً ودخول بختنصر اليه وهدمه اياه وسبيه بني اسرائيل ونقله اياهم الى بابل وانهم ما كثون ببابل في ذلك السبي وفي تلك العبودية سبعين سنة

---

(١) قابل اشعياء (ص ٧) واخبار الايام الثاني

(٢) قابل اشعياء (ص ٧)

ثم يرجعون فينون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم فكان بعض ذلك وهو حاضر ثم تمت نبوته وظهر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عز وجل في ذلك الوقت عند تمام السبعين سنة التي حدها لمقامهم ببابل[1] ومثلما تنبأ دانيال النبي عن رجوع بني اسرائيل الى بيت المقدس وكان ذلك على ما حكاه وتنبأ لبيلشاصر الملك عن الرؤيا التي رآها بيلشاصر فخبره بالوحي عما كان مزمعاً ان يحل به فحل به ودانيال حاضر[2] ومثلما تنبأ ايضاً على قتل المسيح وانه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة وانهم يمزقون في البلاد كل ممزق ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال[3] وكذلك فعل جميع الانبياء ومن استحق اسم النبوة بالحقيقة. وكذلك كانت الملوك والامم يفعلون بمن ادعى عندهم شيئاً من النبوة لا يقبل منه ذلك الا بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ومن لم يأت بشيء من هذا كذبوه ونكلوا به والا كان كل من اتى بهذيان او بكلام منثور او كهانة او زجر او فال كان داخلاً في جملة من تنبأ. وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله. فاما المسيح الرب مخلص العالم فان قدره يجل على النبوة لان مرتبته اعلى واشرف وارفع من مرتبة الانبياء فان الانبياء عبيد الله تبارك وتعالى

---

(١) قابل ارميا (ص ٣٥) (٢) قابل خمسة اصحاحات من دانيال

(٣) قابل دانيال (ص ٩: ٢٦ — ٢٧)

والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الانبياء والموحي اليهم والموجه الرسل والمؤيد لهم بالكلمة المتجسدة فيه وقد تنبأ لليهود وللحواريين بما يدل دلاً قاطعاً على انه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر وانه لا تخفى عليه خافية وانه خبير بالسرائر وبما هو مزمع ان يكون قبل كونه في الوقت الذي كان مقيماً معهم متردداً بينهم مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يرونه بناء هيكل بيت المقدس ويعجبونه من جودة بنائه وصحته وحسنه وتمامه « الحق الحق اقول لكم انه لا يبقى من هذا البناء حجر على حجر الا وينقض[1] » ومثل اخبارهم بما هو مصيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي فكان ذلك كقوله بعد صعوده ممجداً الى السماء باربعين سنة . ومثلما كان يخبرهم ايضاً بما في ضمائرهم وما يكتمونه في انفسهم من تدبيرهم في قتله. ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس ان لعازر صديقنا قد رقد (وكان لعازر هذا نازلاً في موضع يعرف ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقدس) فامضوا بنا نوقظه فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض لعازر ايها السيد ان كان قد رقد فقد برأ على عادة المرضى انهم اذا ناموا بعد السهر المقلق من شدة المرض فذلك دليل على عافيتهم فلما لم يفهموا كلامه صرح لهم القول معلناً ان لعازر صديقنا قد توفي فانا ماض لابعثه حياً من بين الاموات فمضى وهم معه فبعثه حياً ودفعه الى اختيه مريم ومرثا وذلك بعد اربعة

---

(١) قابل متى (ص ٢:٢٤)

ايام من موته[١] وكقوله لسمعان الصفا وقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به ان جميعكم في هذه الليلة يخذلني فقال له سمعان سيدي ان خذلك الناس كلهم فلا اخذلك انا ابداً. فقال له السيد المسيح الحق اقول لك ستجحد معرفتي الليلة ثلث مرات قبل صياح الديك فجزع سمعان لذلك جزعاً شديداً ونفر نفوراً عظيماً لقوله ذلك فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلث مرات في ثلثة مواضع مختلفة حالفاً بغليظ الايمان على جحوده وانكاره ونظر المسيح السيد اليه ففكر سمعان كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وانكاره (راجع متى ص ٢٦)

فهذه اصلحك الله شروط النبوة ودلائلها وعلاماتها. فعرفنا هذا الذي اقررت له بماذا تنبأ وما نبوته التي ظهرت وبماذا استحق عندك او عند غيرك اسم النبوة وما الدليل على دعواه. فان قلت انه اخبرنا باقاصيص الانبياء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوح وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الاولين الذين ذكرهم في كتابه فجوابنا اكرمك الله الذي لا تقدر انت ولا غيرك ان ينكره او يدفعه هو انه انما اخبرنا بما سبقت معرفتنا به ودرسته صبياننا واطفالنا في المكاتب فان ذكرت قصة عاد وثمود والناقة واصحاب الفيل ونظائر هذه القصص قلنا لك هذه اخبار باردة وخرافات عجائز الحي اللواتي كن يدرسنها ليلهن ونهارهن وليس ذكرها دليلاً على نبوته فقد سقطت

[١] راجع يوحنا (ص ١١)

عنه شريطة من الشريطتين اللتين توجبان النبوة. فان قلت انهُ اخبر بما يكون قبل كونه الزمناك توضيح ذلك لان هذه نيف ومائتا سنة قد مضت من ذلك الوقت وكان يجب ان يصح ويتحقق عندك شيء مما اخبرك انه سيكون وانت تعلم ونعلم بالحقيقة انه لم يأتِ في هذا الباب بشيء ولا نطق فيه بكلمة ولا تفوه بحرف واحد فسقطت عنه الشريطة الثانية من شريطتي النبوة واذ قد خلا من الشريطتين اللتين توجبان اسم النبوة وأصفِرَ[1] منهما وهما متضمنتان للآيات والعجائب الممتنعة فلننظر في الآيات هل اتى من ذلك بشيء فنقول انه زعم في كتابه انه قيل له « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون » (الاسرى) اي لولا ان يكذبوا بآياتك كما كذبوا بالآيات التي جاءهم بها الاولون من قبلك لاعطيناك الآيات. فلعمري ان هذا من الاجوبة الممتنعة عند منتقدي الكلام الناظرين في قوانين حدود المنطق وانت تعلم اصلحك الله وكل من يسمع هذا الجواب ان صاحبك ابرأ نفسه به من آيات النبوة لانه لم يقدر عليها وليس لمن مثلك في الانصاف ان يعدل عن الحق. فان ادعيت ان من الدلائل على نبوته ظفره وظفر اصحابه على ما كانوا عليه من القلة والضعف بملك فارس على عظمه وجلالة قدره وجودة تدبير اصحابه وحسن سياسة ملوكه مع كثرة العدد والسلاح والرجال اجبناك بكلام الله وقوله لبني اسرائيل[2] ليس لان الله احبكم اكثر من محبته

(1) الصفر بالكسر الخالي (2) انظر تثنية ٩: ٤—٧

فسائر الشعوب سلطكم على الاموريين والفرزانيين تقتلونهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم بل لآثام هؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم سلطكم عليهم واظفركم بهم. وكفعله ببيت المقدس ايضاً وقد اختاره من بين سائر الارض كلها واحل فيه اسمه وايده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة واسكنه انبياءه المصطفين وكان يرتل فيه اسمه بالتهليل والتسبيح ليلاً ونهاراً وتستجاب فيه الدعوات لانه محل البركات فعندما طغى اهله وجعلوا لله انداداً وغمطوا نعمه وجحدوا آياته وظنوا عند نفوسهم ان الذي هم فيه انما نالوه وصاروا اليه بايديهم وقوتهم فقلّ شكرهم لله جل اسمه سلط عليهم شر خلقه وارذلهم بختنصر عابد الصنم المشرك بالله عز وجل فقتل الرجال الذين كانوا اولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه وسبى ذراريهم واخرب البيت الذي كان معروفاً باسمه ونقل الآنية التي كانت فيه الى بابل النجسة بعبادة الاصنام . فهل نقول ان بختنصر انما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن اهله ما بلغ لانه كان نبياً ام للسبب الذي ذكرناه آنفاً . فكذلك ايضاً كانت قصة صاحبك واصحابه مع ملك فارس لان اهل فارس كانوا مجوساً انجاساً ارجاساً من اسقاط الامم وجهالهم يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والاخوات والامهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحق وتكبروا فوق القدر بجهلهم وقلة معرفتهم باقدارهم وادعوا الربوبية التي لم يجعلها الله لهم وابتذلوا نعمه كفراً وعدواً وسعوا في الارض فساداً وظلماً وارتكبوا العظائم وتوهموا ان الذي هم فيه

انما هو من صحة تدبيرهم و كثرة قوتهم وشدة نجدتهم و بطشهم فسلبهم الله نعمته وسلط عليهم من اخرب بلادهم وقتل رجالهم واخلى مسا كنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب اموالهم فلم يبق لهم امرأة الا نكحت ولا ولد الا استعبد و بادوا بسخط الله ورجزه كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين

فلنرجع الآن الى ذكر الآيات الموجبة لكل من اظهرها صحة ما يدعي من نبوة او رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر في ذلك نظراً شافياً فنقول اما كتاب صاحبك الذي ادعى انه منزل عليه من عند الله فليس فيه شيء من ذكر الآيات بل كما قلنا آنفاً زعم انه لولا انهم كذبوا بآيات الانبياء الاولين لاتاه الله الآيات ولكنه كره ان يؤتيه بشيء منها فيكذبون به . ولعمري أهذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند ذوي العقل ويرضى به العلماء والفلاسفة والمتقدمون للكلام والباحثون عن الاصول والاخبار فهذا ما شهد به كتابه . نعم ان الاولين من اليهود كذبوا بآيات الانبياء وردُّوها واما الاعراب فبآيات من كذبوا ولم يبعث فيهم نبي قط ولا وجه اليهم رسول لا بآية ولا بغير اية . ولعله لو كان جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه ألم نر ان كثيرين منهم اجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا سمعوا عنه اعجوبة ولكن انت تعلم حفظك الله ان هذه حجة مبهرجة تتلاشى عند المحن. فاما غير الكتاب فقد وجدنا لكم اخباراً وقصصاً هي كخرافات العجائز منها زعمهم انه كان من آياته العجيبة المعجزة انه وقف بين يديه ذئب

فعوى و بكى فالتفت الى اصحابه قائلاً لهم هذا وافد السباع فان احببتم ان تفرضوا له شيئاً لا يعدوه الى غيره وان احببتم تركتموه وتحرزتم منه قالوا ما نطيب له بشيء فاومأ اليه باصابعه الثلث ان خالسهم فولى وهو غائل . فهذه لعمري آية عجيبة لم يسمع السامعون بمثلها قط ولم ير الرآؤن اعجب منها تضل عندها عقول الفلاسفة والحكماء وتتحير منها العلماء وذووا الحيل والفطن الدقيقة انه عرف عوآء الذئب وانه وافد السباع . فليت شعري لو كان قال لهم ان هذا الذئب رسول رب العالمين اليه من كان يرد عليه قوله فواضح ان هذا الخبر يا اخي وضعه لقوم لا محنة لهم ولا منتقد باحث فيهم . ومنها زعمهم ايضاً ان الذئب كلم اهبان بن اوس الاسلمي فاسلم ولو ادعى ان اهبان ذكر ان الاسد كلمه لكان عندي اعجب على انه ساوى بينه و بين نفسه فيهما بل فضله على نفسه اذ الذئب معه عوى فادعى هو معرفة ما قال في عوائه انه وافد السباع فاما اهبان فانه زعم ان الذئب ناطقه بلسان عربي والاعجب في ذلك ان هاتين الآيتين لم تجر يا الا بواسطة الذئب الذي يعرف بالخاطف من السباع وهذا لقبه في كتب الله المنزلة . فمثلك ايدك الله لا يحيل[١] عليه مثل هذا الكلام وليست لنا حاجة الى الاطالة فيه وكذلك قصة ثور دريخ وادعاءهم مخاطبته دريخاً عند ضربه اياه . وكتابه يشهد ان الاعراب اشد كفراً ونفاقاً . واما شاة ام معبد ومسحه يده على ضرعها

[١] من الاحتيال

وما يلي ذلك من الخرافات الاخرى كدعائه الشجرة فاسرعت اليه مقبلة مجيبة تجهد في الارض فهذا امر نؤخره اذ فيه نظر مع ان اكثر المسلمين الراسخين في العلم لا يقبلونه بل يردونه ولا يصححونه. وكذلك السم الذي سمته به زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم اليهودي في شاة مصلية اي مشوية فكلمته الذراع واكل معه بشر بن البرآء بن معرور فمات وان السم الذي لم يزل يدب في بدنه كان سبب موته. فليت شعري هل هو سمع الكلام من الذراع وحده ام سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته فان كان سمعه هو وحده فلم لم يمنع ابن البرآء من اكل طعام مسموم حتى لا يموت وابن البرآء رجل من اصحابه قد اختصه بالاكل معه وكيف استحل ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له انها مسمومة وان كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر فكيف لم يمتنع ابن البرآء من الاكل وهو يسمع الذراع تقول لا تأكل مني فاني مسمومة وكيف امتنع هو من الاكل وترك ذلك الشقي يأكل من طعام مسموم فقتله. فليس يخلو هذا من احد وجهين اما ان يكون سمعه هو وحده وكتم ذلك غدراً واما ان تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع ابن البرآء من ذلك الاكل حيث سمع ولا يموت وحيث مات ابن البرآء من اكله السم ولعله انما اكله ثقة منه بانه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول رب العالمين مشفع عند ربه في جميع ما سأله لم لم يدع ربه فيجيبه كعهدنا بالانبيآء المشفعين في احياء الموتى فان ايليا

النبي قد احيي ابن الارملة بصرفة (ملوك اول١٧)وهكذا اليشع تلميذ ايليا قد اقام ابن الشونمية من الموت حياً (ملوك ثان٤) . وقد فعلت الانبياء مثل هذا مراراً كثيرة وهم احياء وفعلت ايضاً القوة الحالة في عظامهم كفعل عظام اليشع النبي حيث وضع الميت عليها فعاش (ملوك ثان ١٣) وانت تعلم أن هــذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة قرأته في سفر كتب الملوك مفسراً ليس فيه اختلاف بين النصارى اصلاً ولا بين اليهود وهما ملتان مختلفتان اجتمعنا نحن وهم على صحة ذلك . وكيف لم يأكل هو منها ايضاً ولم يصبه شيء فيكون ذلك آية له وشاهد على صحة ما يدعي من النبوة ان كان نبياً كما تقول لان الانبيــاء باسرهم موقون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل ثناؤه من الآفات التي تحتال الكفرة بها عليهم وعلى اولياء الله كقول الرب المسيح لتلاميذه في انجيله المقــدس ووعده لهم بما وفى لهم به اذ يقول ما معناه ان انتم شربتم السم القاتل لم يضركم يعني اذا اردتم اظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتي كان ذلك جائزاً مطلقاً فقد كانوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه فتظهر صحة دعواهم على المحنــة والتجربة فانقادت لهم الملوك الجبابرة والعلماء الفلاسفة والحكماء اصحاب الحيل والقضاة بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا رمح ولا عشيرة ولا ناصرة ولا حكمة دنيوية ولا فصاحة بدعة الفاظ ولا حذق بحجة ولا ترغيب في شيء ولا تسهيل في شريعة بل لما كانوا يرون من اظهارهم الافعال المعجبة التي يمتنع امكانها في عقول الآدميين

فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم و يدعون فلسفتهم و يزهدون في علمهم وحكمتهم و يخرجون عن نعمهم وايثارهم و يتبعون اناساً فقراء الظاهر صيادي سمك وعشارين لا حسب لهم ولا نسب غير اتهامهم الى طاعة المسيح الذي اعطاهم السلطان والقدرة على افعال تلك العجائب . فهذه اصلحك الله دلائل النبوة وعلامات الرسالة وصحة الدعوة الى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لا حقيقة له. واما الميضأة وخبرها وانه ادخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم فالخبر بذلك جاء عن محمد بن اسحق الزهري وامرها ضعيف عند اصحاب الاخبار ولم يجتمع اصحابك على صحته فكيفما اردت فاخبار صاحبك اصلحك الله ليس ينساغ منها شيء ولا يستوي ولا تصح دعوة واحدة مما سواها على انه قد سبق فقطع الدعاوي وحذف ذكر الآيات بتة فسقطت دعوى من ادعى له آية وانما بعث بالسيف زعم[1] تصليبا وان كل من لم يقر انه نبي مرسل قتله او يؤدي الجزية ثمناً لكفره فيدعه فهل تريد اصلحك الله دليلاً اوضح او حجة اقنع او برهاناً اصح على بطلان ما جاء به صاحبك اكثر من هذا ان كنت انصفت نفسك وصدقتها على ان صاحبك قد اقر وقطع باقراره كل سبب بما نقلت عنه الثقاة الحاملون اخباره فانه قال قولاً مصرحاً غير مكاتم ولا مساتر انه «ليس من نبي الا وقد كذبت امته عليه ولست آمن ان تكذب عليّ امتي فما

[1] هكذا بالاصل

جاءكم عني اعرضوه على الكتاب الذي خلفته بين اظهركم فان كان له مشاكلاً وكان له فيه ذكر فهو عني واني قلته وفعلته وان لم يكن له ذكر في الكتاب فانا بريء منه وهو كذب ممن رواه عني وما قلته ولا فعلته» فانظر اصلحك الله في هذه الاخبار التي ذكرناها مما يقول اصحابك هل تجد لها اصلاً في الكتاب الذي في يدك فان كان لها فيه اصل اوذكر فهي لعمري صحيحة قد فعلها واتى بها والا فهو بريء منها وهي اباطيل واكاذيب تقوّلوا بها عليه ثم اعظم من هذا واشنع انه كان يقول لهم في حياته ويوصي اليهم اذا مات الا يدفنوه فانه سيرفع الى السماء كما ارتفع المسيح سيد العالم وانه اكرم على الله من ان يتركه على الارض اكثر من ثلثة ايام ولم يزل ذلك عندهم متمكناً في قلوبهم فلما مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة ثلث وستين لمولده وقد مرض اربعة عشر يوماً تركوه ميتاً يظنون انه سيرفع الى السماء كقوله فلما اتت عليه ثلثة ايام وانقطع رجاؤهم من ذلك وايسوا من تلك المواعيد الباطلة دفنوه في التراب يوم الاربعاء وحكى بعضهم انه مرض سبعة ايام بذات الجنب وانه غرب عقله وخلط في كلامه تخليطاً شنيعاً فغضب لذلك علي بن ابي طالب وانكره فلما افاق اخبره بما كان فقال لا يبقين في البيت احد الا العباس بن عبد المطلب فلما كان اليوم السابع من مرضه مات فربا[١] بطنه وانعكست اصبعه الشمال وهي الخنصر. وذكر ضمران انه

(١) ارتفع وزال

كان تحته في مرضه شملة حمرآء وعليها مات وفيها ادرج بعد موته ووري في التراب بغير غسل ولا اكفان. وروى عمران بن خضير الخزاعي انه غسل وادرج في ثلثة اثواب سجولية اي بيض يمانية وان الذي تولى ذلك منه علي ابن ابي طالب والفضل بن العباس بن عبد المطلب بن عمه. فلم يبق احد ممن كان تبعه الا ارتد ورجع عما كان عليه غير نفر يسير وشرذمة قليلة من اخص اهله واقربهم نسباً اليه طمعاً بما كان فيه من تلك الرئاسة فكان لابي بكر عتيق بن ابي قحافة في ذلك اعجب تدبير والطف فعل واكثر رفق فتولى الامر بعده بذلك السبب فاغتاظ علي بن ابي طالب غاية الغيظ ودخل عليه ما يدخل على من يشكك ان الامر صائر اليه فانتزع من يده كل ذلك حرصاً على الدنيا ورغبة في الرئاسة فلم يزل ابو بكر برفقه وحسن مداراته يلطف بالمرتدين الى ان رجعوا بضروب من الحيل والرفق والعدات والتشويقات والاماني والخداع وكان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف و بعض بالترغيب في سلطان الدنيا واموالها واباحة شهواتها ولذاتها فرجع من رجع في ظاهره لا في باطنه وما اشك اكرمك الله الا انك ذاكر ما جرى في مجلس امير المؤمنين وقد قيل في رجل من اجل اصحابه انه انما يظهر الاسلام وباطنه المجوسية القذرة فاجاب بما علمته من الجواب حيث قال «والله اني لاعلم ان فلاناً وفلاناً حتى عدد جملة من خواص اصحابه ليظهرون الاسلام وهم ابرياء منه و برآء مني واعلم ان باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك انهم

قوم دخلوا في الاسلام لا رغبة في ديانتنا هــذه بل ارادوا القرب منا والتعزز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه واني اعلم ان قصتهم كقصة ما يضرب من مثل العامة ان اليهودي انما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته اذا اظهر الاسلام وما قصة هؤلاء في مجوسيتهم واسلامهم الا كقصة اليهودي واني لاعلم ان فلاناً وفلاناً حتى عدد جماعة من اصحابه كانوا نصارى فاسلموا كرهاً فما هم بمسلمين ولا نصارى ولكنهم مخاتلون فما حيلتي وكيف اصنع فعليهم جميعاً لعنة الله اما كان يجب عليهم اذ خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التي هي اشر الاديان واخبث الاعتقادات او عن النصرانية التي هي اذعن الاقاويل الى نور الاسلام وضيائه وصحة عقده ان يكونوا اشد تمسكاً بما دخلوا فيه منه بما تركوه ظاهراً وخرجوا عنه رياء ولكن لي قدوة برسول الله صلعم واسرة به لقد كان اكثر اصحابه واخصهم به واقربهم اليه نسباً يظهرون انهم اتباعه وانصاره وكان صلعم يعلم انهم منافقون وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له وصح ذلك عنده وانهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل ويريدون به السوء ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه نظر العين حتى ان جماعة منهم كنوا له تحت العقبة واحتالوا في تنفير بغلته لترمي به فتقتله فوقاه الله كيدهم وشر ما كانوا يبغونه له ثم كان يداريهم دائماً الى ان الله قبض روحه على غاية ما يداري به الاعداء المكاشفين حذراً منهم افما ينبغي لي انا ان اشابهه صلعم هـذا

وكان حياً ملء ثيابه ثم ارتدوا جميعاً بعد موته فلم يبق منهم احد كان يظن به رشداً الا رجع وارتد وحرص على تشتيت هذا الامر وابطاله ظاهراً و باطناً وعلانية وسراً الى ان ايده الله وجمع تفرقهم والفى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا فربط النظام وجمع الشمل والف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة واتم الله ما اتمه وما المنة في ذلك له ولا هو محمود عليه بل المنة لله والحمد والشكر له على ذلك باسره فلست اذكر ما اراه و يبلغني عن اصحابي هؤلاء لا ابعد الله غيرهم وما لهم عندي الا المداراة والصبر عليهم الى ان يحكم الله بيني و بينهم وهو خير الحاكمين» . ولولا ان سيدي امير المؤمنين تكلم جهاراً على رؤوس الملأ في مجلسه اجله الله فذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد الى الغائب لما حكيته وانت تشهد لي اني لم اتزيد في شيء من ذلك وانما ذكرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس وليس له مدة طويلة واردت اعادته لاذكرك امر الرد وان القوم لم يكن ردهم الى هــذا الامر الا رغبة في الدنيا ولاتمام هــذا الملك الذي هم فيه وفي ذلك لذوي الالباب ممن ينظر في كتابنا هذا مقنع ان شاء الله . فلنرجع الآن الى كلامنا الاول ونقول انهُ كان عمره ثلثاً وستين سنة منها اربعون سنة قبل ادعائه النبوة وثلث عشرة بمكة وعشر في المدينة وهذا اصلحك الله ما لا تقدر انت ولا غيرك ممن يدعي مثل ادعائك ان ينكره او يجحده والذي نقل اليك دينك ووثقت به في جميع ما نقله عنه هو الذي نقل هذه الاخبار

فهذه قصته من اولها الى آخرها

فان ادعيت ان موسى النبي و يشوع بن نون ولي الله وخليفة موسى قد حاربا اهل فلسطين وضربا بالسيف وقتلا الرجال وسبيا واحرقا القرى والمساكن بالنار ونهبا الاموال مما انكرت على صاحبنا من امره وفعله قلنا لك انهما فعلا ما فعلاه عن امر الله عز وجل لقوام ما اراده وقدره وانجاز مواعيده وفعله فان ذلك كان في قوم قد طغوا و بغوا وتجاوزوا الحد فاحب تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الاب المشفق على ابنه . فان قلت وما الدليل على ان ذلك منهما كان عن امر الله سبحانه وتعالى وان الذي فعله صاحبك لم يكن عن امر الله قلنا لك ان نبي الله موسى حيث جاء بالآيات العجيبة المعجزة التي فعلها بمصر بحضرة فرعون وجميع اهل مصر بعد ما فعل اهل مصر ببني اسرائيل ما فعلوه و بعد ذلك اخرج بني اسرائيل بتلك اليد الرفيعة والقوة المنيعة وفلق لهم البحر واجازهم وغرق فرعون واصحابه عندما تبعهم وضرب الحجر الاصم فتفجر منه اثني عشر نهراً سقاهم منها وانزل لهم المن والسلوى وما اشبه ذلك مما اتى به مما هو ممتنع في قدرة المخلوقين لا يقدر احد ان يفعل ذلك غير الخالق جل وعز ومن اعطاه الرب القدرة على فعل مثله صارت هذه دلائل واضحة وشواهد له صادقة بان جميع ما حكاه وفعله عن امر الله تبارك وتعالى وصح عندنا ايضاً من وجه آخر انه لم يجيء من بعده نبي ولا رسول من عند الله الا ثبت له مقالته وصحح قوله وما جاء به وعلمنا

ان قتال الكفار الذين قاتلهم وسبى ذراريهم واحرق مساكنهم ونهب اموالهم حق من الله وكذلك ما فعل يشوع بن نون من استيقافه الشمس في وسط الفلك عن مسيرها الى ان انتقم الشعب من اعدائه وكذلك توقيفه القمر بامر الرب فوقف وشهد له الكتاب بانه لم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون في المستأنف لانها آية خص بها يشوع بن نون فتكون شهادة له وجلالاً عنده الى آخر الابد وكذلك افاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها واذ قلت انك قرأت كتاب يشوع ودرسته حق دراسته فلا وجه لاعادتها ونحن واليهود المخالفون لنا متفقون على تصديقه عن غير تواطؤ وانه حق كما حكاه ديوان الله لا نشك فيه ولا نرتاب فاعطنا انت اصلحك الله ادنى حجة او آية او لمعة اعجوبة تومئ بها الى صاحبك انه فعلها او يقر له كتابه بصحتها حتى نصدق نبوته ونقر برسالته ونقبل دعوته ونعلم ان ما فعله من قتل الناس وسبيهم واخذ اموالهم واخراجهم من ديارهم كان عن امر الله عز وجل كفعل اولياء الله ولكنا نعلم حقيقة انه لا جواب عندك في هذا وانك لا تقدر ان تأتي بشيء مما سئلت عنه فلا ينبغي لك اصلحك الله ان تظلم وتذم من رد عليك قولك وانكر دعواك قائلاً ان الله لم يبعث صاحبك رسولاً ولا نبياً ولا امره بمحاربة احد ولا موادعته وانما هو رجل متغلب ادعى لنفسه ما ادعاه فاعانه على ذلك قوم من عشيرته واهل بيته و بلده فليس على من جحد هذا ورده لوم ولا عيب ولا ذنب بل ان انصفت

عذرته واحمدت رأيه وارتضيت بصحة عزيمته وقلت بجودة فكره لاحادته عن القول المتهافت المتناقض الشاهد على نفسه ببطلانه وانت تعلم علمك الله كل خير ان العقل والنصفة يوجبان ذلك اللهم الا ان تستعمل المباهتة التي ليست من مذهبك ولا من اخلاقك بل هي سلاح العمه [١] اليهود والكفار والجهال فان الكذب والبهت والمكابرة اصل قولهم ومتن كلامهم وعقد امرهم لانهم يشبهون الشيطان اباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان كما شهد الرب يسوع المسيح عليه في انجيله المقدس الطاهر فالام ارجع اصلحك الله من امرك وكيف اقول وبما احتج لك عند عقلي وهل ترى ان اقبل قولك من غير حجة ولا برهان ولا دليل مقنع اترى ذلك صواباً وما اظنك يرحمك الله ترى لي ذلك كيف وسيدي المسيح قد قال في محكم انجيله المقدس ما معناه ان جميع الانبياء انما تنبأت الى وقت مجيئي وعند ظهوري زالت النبوات باجمعها فلا نبي بعدي فمن جاء بعدي مدعياً نبوة فهو لص خاطف لا تقبلوه فاشر علي يا خليلي هل ترى لي ان اعدل عن وصية ربي المسيح مخلص العالم واقبل غرورك وخدعك وامانيك وتشويقاتك بالدنيويات الزائلة بغير دليل ولا حجة فما اظن مثلك من اهل التمييز والعقل اشار بمثل هذا الخطأ العظيم ولا مثلي قبله واصغى اليه . فارجع الى عقلك يرحمك الله وانصفه واستعمل القانون الحق ودع التحامل للقرابة والعصبية للنسب

(١) المتحرين

لمضمحل فاني لك ناصح وعليك مشفق واذكر ما قرأته في الانجيل لطاهر حيث يقول السيد المسيح لحواريه «ان انبياء كثيرين وملوكاً ارادوا ان ينظروا ما انتم تنظرون ولم ينظروا وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا» (لوقا ١٠: ٢٤) فهل ينبغي لك وانت قرأت مثل هذا ان تميل عنه الى غيره من امور الدنيا مع معرفة سرعة زوالها وفنائها. و بعد هذا كله كان ينبغي لك ان تعلم اننا انما صدقنا الانبياء وقبلنا اقوالهم عندما جاءونا بشروط النبوة ودلائل الرسالة واعلام الوحي لا بالغلبة والقهر ولا بالحمية والعصبية ولا بالشرف في الحسب والنسب ولا بكثرة العشيرة وصولة المنعة ووفور المال ولا بتسهيل السنن والشرائع ولا باعطاء الجسد شهواته ولا لاجل الفرق من السلطان والخوف من السيف والسوط بل بالآيات العجيبة التي لا يقدر الآدميون ولا يتهيأ في حيلهم ان يأتوا بمثلها فهي دلائل واضحة الهية مثل آيات الانبياء وعجائب ربنا المسيح وافعال تلاميذه الحواريين التي كانت تضل عندها عقول الفلاسفة وحكمة الحكماء فقبلنا اقاويل هؤلاء وجميع ما جاءونا به وصدقناهم واقررنا لهم به وانه حق منزل من عند الله عز وجل لكون مثل هذه الشهادات الصادقة معهم وبرآتها في ايدينا وعندنا آثارهم قائمة واعلامهم نيرة لا يجحد ذلك احد ولا يمكن غيرهم ان يدعيه ولا ينكره الا من عاند الحق واستعمل المباهتة وسوء التمييز. وقد اقتضانا اصلحك الله هذا الفصل من كتابنا هذا ان نناظرك فيه بعض المناظرة في ما اتاك به

صاحبك هذا الذي تدعي له النبوة من الشرائع والاحكام فنقول ان الشرائع والاحكام لن تخرج عن ثلثة اوجه لا يقدر ذو نطق ان يأتي بزيادة فيها ولا تنقيص منها وذلك اما ان يكون الحكم حكماً الهياً وهو حكم التفضل الذي هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جل اسمه لا بغيره ولا يشبهه سواه واما ان يكون حكماً طبيعياً قائماً في العقل مولوداً في الفكر يقبله التميز ولا ينكره وهو حكم العدل واما ان يكون حكماً شيطانياً اعني حكم الجور وهو ضد الحكم الالهي وخلاف الحكم الطبيعي . فاما الحكم الالهي الذي هو فوق الطبيعة واشرف منها فهو التفضل الذي جاء به المسيح مخلص العالم سيد البشر الذي اقر صاحبك وشهد له اذ يقول «وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين» (مائدة) وذلك ان المسيح قال في انجيله الطاهر .«غالبوا الشر بالخير واحسنوا الى من اساء اليكم وتفضلوا على الناس جميعاً وباركوا على من لعنكم وادعوا لمن اذنب اليكم وآتوا الجميل والمعروف الى من شتمكم لتشبهوا في ذلك فعل ابيكم الذي في السماء فانه يجود بوابله على الابرار والفجار ويشرق شمسه على الاخيار والاشرار»[١] فهذا هو الحكم الالهي وشرائعه فوق الطبيعة واعلى من العقل الانساني وهو حكم التفضل والرحمة والعفو والتشبه بفعل الله تبارك

(١) قابل متى ٥ : ٤٣ — ٤٨

وتعالى الرؤوف الرحيم. والنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجاري مع الغريزة الملايم الانسانية وهو ما جاء به موسى النبي بقوله في حكمه ما معناه «العين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس والضربة بالضربة والجراح قصاص» فهذا حكم الطبيعة الداخل في قانون العقل وهو حكم العدل والنصفة ان تأتي الناس بمثل ما اتوا به اليك وتفعل بهم كما فعلوا بك ان خيراً فخير وان شراً فشر وليس ذلك مضاهياً للحكم الالهي ولا مما يسنه الرب الرحيم المتفضل الرؤوف بخلقه. والنحو الثالث هو الحكم الشيطاني المحال الذي هو الجور والشر بعينه. فلا تلم اصلحك الله على ايجابنا الحجة عليك في ذلك فانك تعلم اننا بعد معك في وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السلاح الروحاني ذباً عن دين الله القيم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا فانك ان لمت في ذلك ظلمت على اننا لا نلتفت الى لومك ولا لوم غيرك في ذلك. وانا ارجع اليك بالمسألة سائلاً الله جل وعز الهامك الانصاف وتلقينك القول بالعدل في اعلامي اي هذه الاحكام الثلثة التي ذكرناها واي شريعة جاء بها صاحبك فان قلت انه جاء بالاحكام الالهية قلنا لك قد سبقه المسيح سيدنا اليها بستمائة سنة وبها يعمل اصحابه وتابعوه منذ ارتفاعه ممجداً الى السماء الى هذه الغاية والى ان تنقضي الدنيا ولم نرَ احداً من اصحابك علم شيئاً منها ولا كانت تستعمل في عهد صاحبك. وان قلت وما اظنك قائلاً انه جاء بالاحكام

الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل قلنا قد سبقه الى ذلك موسى النبي واوقفنا عليه وشرحه لنا شرحاً بيناً عن الله في التوراة وليس لاحد ان يدعيه لانه ناطق قائم له وحده مشاهد في كتابه اللهم الا ان يكون المدعي لذلك مكابراً للعيان ظالماً متعدياً بهاتاً يأتي الى ما هو كضوء الشمس حق قائم في ايدي اهله وهو لهم وعندهم وفيهم فيروم ان يطمسه ويحاول بمباهتته ادعاءه لنفسه. فهذان حكمان قد عرفنا اصحابهما واقررنا لهم بهما. فقد بقي الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجور. فانظر اصلحك الله نظراً شافياً بروية صحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ من القائم بهذا الحكم الناصر له المتمسك بشرائعه العامل به والا فاعلمنا اي حكم جاء به صاحبك واي شريعة اتى بها غير الحكم الثالث الذي شرحناه لك لنقبله منك ان اوجب قبولاً وننقاد لك فيه فانا لا نعاند الحق ولا نرده من حيث اتى. فهل تقول يرحمك الله انه جاء بالحكمين معاً يعني حكم المسيح وحكم موسى وشرحهما في كتابه قائلاً «النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن الخ» كما قال موسى ثم اتبعه بقول المسيح وان غفرتم فانه «اقرب للتقوى» (مائدة) فانت تعلم ان هـذا كلام متناقض كقول القائل قائم قاعد واعمى بصير وصحيح سقيم في حال واحدة فما اظنك تستجيز اطلاق هذا الكلام على هـذا من الاطلاق لانه محال ثم لا ينكتم ايضاً ولا يخفى على متدبره ومتعقبه انه كلام سرق من موضعين مختلفين اعني التوراة والانجيل. ثم ان

انت اقررت كل واحد من هذين الحكمين وادعيته فلا يقارك اصحابهما ولا يدعونك وذلك لانه حق لهم وهم اشد تمسكاً به وصيانة له من ان يسامحوك عليه لانهم قد ورثوه فصار في ايديهم ارثاً مقبوضاً وحقاً مسلماً لهم ويقولون لك انك متعد ظالم تروم اخذ ارثنا من ايدينا مع اقرارك انت انه لنا غير جاحد له فان حاولت اخذه فانت غاصب لا حق لك. بل آتنا انت بما في يدك وعندك مما ليس في ايدينا ولا عندنا لنعلم انك محق صادق في ادعائك . اليس انما تلجأ الى القول الثالث الذي يقيمون عليك فيه البينة العادلة انك انت جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود ما انت مقيم عليه مقر به وهو في يدك تناضل عنه وتخاصم فيه وهو شريعة لك انت مستعملها ثم ترجع فتنكر وتجحد ما انت فيه من حكمك وتتبرأ منه وبعد هذا وقبله فلا اظنك ترضى لصاحبك ان يكون تابعاً للمسيح وموسى وانت تزعم فيه ما تزعم وتدعي له ما تدعي من الحظوة والقدر والمنزلة عند رب العالمين وتجتريء على الله وتقول لولا صاحبك ما خلق آدم ولا كانت الدنيا ولقد جئت بهذا اصلحك الله بامر ذي بهت وكذب بين ادعيت له من الآيات ما ادعيت بقولك لولا ان يكذبوا بها كما كذب الاولون ولم تدع له ذلك في الشرائع وانه ما كان عليه ان يأتي بها فيبين بها بعض امره أو ليس لانه لم تكن شريعة رابعة بقيت فلما لم يبق الا الشريعة الثالثة وكان موسى والمسيح قد سبقاه الى الشريعتين جاء هو بالشريعة الثالثة فلا ادري باي

قوليك آخذ ولا عن ايهما اجيب فاصدق نفسك يرحمك الله ولا تغشها لان ذلك حرام عليك وليس الدين من الامور التي يجوز ان يتوانى ذو اللب والعقل عن الفحص والبحث عنها ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على اصوله واسبابه وفقك الله الى الحق وجنبك الباطل بحوله وقوته . وكأني بك وقد الجئت الى ان تقول ان الحجة البالغة عندك هذا الكتاب الذي في يدك وان الدليل على صحة كونه منزلاً من عند الله ما فيه من الاخبار القديمة عن موسى والانبياء وعن سيدنا المسيح وصاحبك رجل امي لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الاخبار فلولا انه اوحي اليه وانبيء به فمن اين عرف ذلك حتى نسقه وجاء به . ثم تقول لا يقدر انسي ولا جني ان يأتي بمثله ثم تقول «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين» (بقرة) وقوله «ولو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله» (الحشر) ونظائر هذه الاغلوطات فهذا اعظم الدليل واصح البرهان واوضح الحجة بزعمك على نبوته فكانك جعلت هذا آية له وحجة مثل فلق البحر لموسى ووقوف الشمس ليشوع بن نون واحياء الموتى للمسيح واعاجيب الانبياء السالفين ولعمري ان هذا الكلام قد اضل قوماً كثيرين وقد اويت من هذا الكلام الى ركن ضعيف القواعد متداعي الدعائم واهي القوائم وجوابك في هذا قريب غير بعيد وحاضر غير غائب ولا متخلف ولا بد لنا من كشف

هذه القصة وان كان في كشفها بعض المرارة عليك فان بط[١] القروح النغلة[٢] لا بد ان ينال صاحبها منه اذى والم فاصبر لالم الحديد قليلاً تجد الراحة وحلاوة العافية عندما يتضح لك الحق وتظهر لك فائدة هذا القول وتدليسه عليك فنقول انه ينبغي لك ان تعلم اولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب ثم تدعي حينئذ مثل هذه الدعاوي المتدلسة[٣] التي لا بقاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص وذلك انه انما كان رجل من رهبان النصارى يعرف بسرجيوس احدث حدثاً انكره عليهِ اصحابه فحرموه واخرجوه وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة وامتنعوا من كلامه ومخاطبته على ما جرت بهِ العادة منهم في مثل هذا الضرب فندم على ما كان منهُ فاراد ان يفعل فعلاً يكون له بهِ تمحيص عن ذنبه وحجة عند اصحابه النصارى فصار الى بلد تهامة فجالها حتى افضى الى تربة مكة فنظر البلد غالباً فيها صنفان من الديانة فكان الاكثر دين اليهود[٤] والآخر عبادة الاصنام فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمى عنده نسطوريوس وذلك انه اراد بتغير اسمه اثبات رأيه في نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتدين به فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقي اليه الشيء بعد الشيء الى ان ازاله عن عبادة الاصنام ثم صيره داعياً وتلميذاً له يدعو الى دين نسطوريوس . فلما

(١) شق (٢) الفاسدة الجلد (٣) المستترة عيوبها
(٤) كذا في الاصل

احست اليهود[١] بذلك ناصبته العداوة فطالبته بالسبب القــديم الذي بينهم و بين النصارى . فلم يزل يتزايد به الامر الى ان بلغ به ما بلغ فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذب عنها وتزكية اهلها والشهادة لهم انهم اقرب مودة وان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون (مائدة) . فلما قوي الامر في النصرانية وكاد يتم توفي نسطوريوس هذا فوثب عبدالله بن سلام وكعب[٢] المعروف بالاحبار اليهوديان بخبثهما ومكرهما فاظهرا له انهما قد تابعاه على رأيه وقالا بقوله فلم يزالا على ذلك المكر والدهاء والتدبير عليه بكتمان ما في انفسهما الى ان وجدا الفرصة بعد موته. فلما توفي وارتد القوم وافضى الامر الى ابي بكر وجلس علي بن ابي طالب عن تسليم الامر لابي بكر علما انهما قد ظفرا بما كانا يطلبان و يريدان في نفسيهما فاندسا الى علي بن ابي طالب فقالا له ألا تدعي انت النبوة ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصراني فلست باخس منه وكان علي بن ابي طالب قد احس بما كان نسطوريوس الراهب عليه الا انه كان صغيراً وقلما صحبه الا انه اوعزا اليه الا يعلم احداً بموضعه ولا يطلع احداً من اهله عليــه فقبل علي منهما ذلك لصغر سنه وقلة تجربته ومال الى قولهما بسلامة قلبه وحداثة سنه وقلة تجربته فلم يتمم الله لهما ذلك ولم يبلغهما اياه

---

(١) لعل ذلك بعد هجرته المدينة (٢) لعل ذكره خطأ لانه من التابعين ولم ير محمداً وقد اسلم في خلافة عمر

لانه اتصل بابي بكر بعض خبرهما فبعث الى علي فلما صار اليه ذكره الحرمة ونظر الى ابي بكر والى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه. وكانا قد عمدا الى ما في يد علي بن ابي طالب من الكتاب الذي دفعه اليه صاحبه على معنى الانجيل فادخلا فيه اخبار التوراة وشيئاً من جل احكامها واخبار من عندهما بدلها وشنعا فيه وزادا ونقصا ودسا تلك الشناعات كقولها «قالت النصارى ليست اليهود على شيء وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» (بقرة) ومثل الاعاجيب وذلك التناقض الذي لا يحيل على الناظر فيه ان المتكلمين به قوم شتى مختلفون كل منهم ينقض قول صاحبه ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هذا وشبهه الا ان علياً حيث ايس من الامر ان يصير اليه صار الى ابي بكر بعد اربعين يوماً وقال قوم بعد ستة اشهر فبايعه ووضع يده في يده وقال له ما حبسك عنا وعن متابعتنا يا ابا الحسن فقال كنت مشغولاً بجمع كتاب الله لان النبي كان اوصاني بذلك . فانظر ايها العادل في هذا الكلام وتدبر ما معنى شغله بجمع كتاب الله وانت تعلم ان الحجاج بن يوسف أيضاً جمع المصاحف واسقط منها اشياء كثيرة فكتاب الله ايها المغرور لا يجمع ولا يسقط منه شيء وانت واهل مقالتك عارفون بذلك غير منكرين لان الثقات من رواتكم نقلوا هذه الاخبار وصححوها فليس بينهم فيها خلف وانت تعلم

ايضاً انهم رووا ان النسخة الاولى هي التي كانت بين القرشيين فامر عليٌّ بن ابي طالب باخذها لما اشتد عليه الامر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان وهي النسخة التي كانت محضة على معنى الانجيل الذي دفعه اليه نسطوريوس وكان يسميه عند اصحابه جبرائيل مرة والروح الامين مرة فلما قال عليٌّ بن ابي طالب لابي بكر في البيعة الاولى اني شغلت في جمع الكتاب قالوا فمعنا قول ومعك قول وهل يجمع كتاب الله فاجتمع امرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من اجزائه كسورة براءة التي كتبوها عن الاعرابي الذي جاءهم من البادية وغيره من الشاذ والوافد وما كان مكتوباً على اللخاف [1] والعسب وهو جريد النخل وعلى عظم الكتف ونحو ذلك ولم يجمع في مصحف وكانت لهم صحف وادراج على منهاج ادراج اليهود وذلك من حيلة اليهوديين وكان الناس يقرأون مختلفين فقوم يقرأون ما مع علي بن ابي طالب وهم اتباعه الى اليوم وقوم يقرأون بهذا المجموع الذي ذكرنا امره وقوم يقرأون بقراءة الاعرابي الذي جاء من البرية وقال ان معي حرفاً وآية واقل واكثر فكتب ولا يدري ما قصته ولا في ما أُنزل وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود لقول صاحبك من اراد ان يقرأ القرآن غضا طريا كما انزل فليقرأ بقراءة ابن ام عبد وكان يعرض عليه في كل سنة مرة وفي السنة التي مات فيها عرض عليه مرتين

(١) بالكسر حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة وهي في حديث زيد بن ثابت جامع القرآن

وقوم يقرأون قراءة ابيّ بن كعب لقوله اقرأكم ابيّ وقراءة ابيّ وقراءة ابن مسعود متقاربتان فلما صار الامر الى عثمان بن عفان واختلف الناس في القراءة اقبل علي بن ابي طالب يتطلب العلل على عثمان و يتتبع العثرات و يعيبه و يخالف عليه وذلك تدبراً على قتله فكان الرجل يقرأ الآية و يقرأها الآخر قراءة مختلفة ويقول الرجل منهم لصاحبه قراءتي خير من قراءتك و يحتج كل منهم لصاحبه بالذي يقرأ بقراءته و يقع في ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل فقيل ذلك لعثمان انهم يختلفون في القراءة و يزيدون في الكتاب و ينقصون و يتضاغنون في ذلك و يقع بينهم الشر والاخذ بالعصبية ولا نأمن ان يتطاول الامر و يتفاقم فيقع بينهم القتل و يفسد الكتاب وترجع الردة فبعث عثمان فجمع كل ما امكنه من تلك الادراج والرقاع وما كتب اولاً ولم يتعرضوا لما في يد علي بن ابي طالب من مصحفه ولا لمن كان يقرأ بقراءته ولا دخل معهم في هذا التأليف . فاما أُبي بن كعب فمات قبل هذا التأليف واما ابن مسعود فطلبوا منه ان يدفع اليهم مصحفه فابى فصرفوه عن الكونة واستعملوا ابا موسى الاشعري وامروا زيد بن ثابت الانصاري وعبد الله بن عباس وقيل محمد بن ابي بكر بتأليفه واصلاحه وحذف الفاسد منه وكانا حديثي السن وقالوا لهما اذا اختلفتما في شيء او لفظة او اسم فاكتباه بلسان قريش فاختلفا في اشياء كثيرة منها التابوت قال زيد هو التابوه وقال ابن عباس بل هو التابوت فكتباه بلسان قريش ونظائر هذه كثيرة :

فلما جمعوا هذا التأليف على ما في هذه المصاحف كتبت اربعة مصاحف بخط جليل ووجه احدها الى مكة وخلف آخر في المدينة ووجه آخر الى الشام وهو اليوم بملطية باق ولم يزل ذلك المصحف الذي كان بمكة الى ايام ابي السرايا فلما كان في تلك الايام وهو آخر سلب سلبت الكعبة (سنة ٢٠٠ هجرية) ليس ان ابا السرايا سلبها بل في تلك الفتنة فقد قيل احترق في ما احترق واما مصحف المدينة ففقد في ايام الحيرة وهي ايام يزيد بن معاوية ووجه بالمصحف الرابع الى العراق وكان بالكوفة وهي يومئذ قبة الاسلام ومجمع المهاجرين والصحابة ويقال ان ذلك المصحف باق الى اليوم بالكوفة وليس بصحيح بل فقد في ايام المختار ثم امر بجمع ما جمع من تلك المصاحف والادراج التي جمعت من البلاد كتب الى العمال ان يجمعوا ما امكنهم منها وينقضوه حتى لا يعلم ان احداً عنده منها شيء وتوعد المخالف منهم فكل ما صار اليهم غلوا له الخل وسرحوه فيه وتركوه حتى تقطع واهترى ولم يبق شيء يعلم الا متفرقاً مثلما قيل عن سورة النور انها كانت اطول من سورة البقرة وكما قيل ان سورة الاحزاب مبتورة ليست بتمامها وكذلك قالوا في براءة انها لم يوجد بينها وبين الانفال فصل يعرف فلم يفصلوهما بسطر بسم الله الرحمن الرحيم ومثل قول ابن مسعود في المعوذتين لما اثبتوهما في المصحف لا تزيدوا فيه ما ليس فيه ومثل قول عمر على المنبر لا يقولن احد ان آية الرجم ليست في كتاب الله فانا قد كنا نقرأ «والشيخ والشيخة اذا زنيا

فارجموهما البتة» فلولا ان يقال ان عمر قد زاد في القرآن ما ليس فيه لزدتها فيه بيدي ومثل قوله في آخر خطبة خطبها اني لا اعلم ان احداً قال ان المتعة ليست في كتاب الله بل قد كنا نقرأ آية المتعة ولكنها سقطت فلا جزى الله من اسقطها خيراً فانه أوتمن فما ادى الامانة ولا نصح الله ولا رسوله فقد اسقط المموه عليه من القرآن شيئاً كثيراً وقوله ايضاً وما كان عليه ان يرخص الله للناس وانما بعث محمداً بالدين الواسع وقال ابي بن كعب سورتان كانوا يقرأونهما فيه وانما قال هذا في التأليف الاول ولم يدرك هـذا التأليف وهما سورتا القنوت والوتر وهما اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك الى آخر الوتر. وكذلك آية المتعة فان علياً كان اسقطها بتة وقال انه سمع رجلاً يقرأها على عهده فدعاه وضربه بالسوط وامر الناس الاّ يقرأها احد فكان هذا بعض ما شنعت به عليه عائشة يوم الجمل وقد ادخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت في بعض قولها انه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه وقد بدل وحرف. وبقي مصحف عبد الله بن مسعود عنده فهو يتوارث الى الساعة وكذلك مصحف علي بن ابي طالب عند اهله. ثم كان من امر الحجاج بن يوسف ما كان انه لم يدع مصحفاً الا جمعه واسقط منه اشياء كثيرة ذكروا انها كانت نزلت في بني امية باسماء قوم وفي بني العباس باسماء قوم وزاد فيه اشياء وكتبت نسخ بتأليف ما اراد الحجاج في ستة مصاحف فوجه واحد الى مصر وآخر

الى الشام وآخر الى المدينـة وآخر الى مكة وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وعمد الى تلك المصاحف المتقدمة فغلى لها الزيت وسرحها فيـه فتقطعت واحتذى في ذلك بما فعله عثمان . والدليل على ما كتبنا انك الرجل الذي قد قرأت كتب الله المنزلة وانت تعلم كيف اتسقت الاخبار وكثر التخليط في كتابك الذي هو دليل على ان الايدي الكثيرة قد تداولته واختلفت فيه الاراء وزيد فيه ونقص منه وكل قال ووضع ما اراد وهوي واسقط ما كره وسخط افهذه عندك اكرمك الله شروط كتب الله المنزلة سيما وصاحبك اعرابي خلف[1] يأوي البادية فخطر خاطر في قلبه فسجعه بلسانه وصار به الى قوم بدو فتقرب به اليهم وهم يشهدون في كتابهم ان الاعراب اشد كفراً ونفاقاً ومن هو اشد كفراً كيف يؤخذ عنه سر الله ووحيه وتنزيله على نبيه وانت تعلم ما كان بين عليّ وابي بكر وعمر وعثمان من الاحنة والعداوة فقد زاد هؤلاء ونقصوا وزاد هذا ونقص وانما كان كل واحد منهم يريد الخلاف على صاحبه ومناقضته قوله ومباراته فمن اين نعلم اي الاقوال هو الصحيح وكيف يمكن لك ان تميزه من السقيم وقد زاد فيه الحجاج ونقص منه وانت عارف بمذهب الحجاج في جميع اموره فكيف تستوثقه في كتاب الله وتعدله. وتأمنه على ذلك وقد كان الرجل الذي يتقرب الى بني امية بكل ما يجد اليه سبيلا . هذا وقد كان اليهود البهت مخالطين

(١) في الاصلية خلق

لهم وكان بعضهم قد اظهر لهم الدخول معهم في المقالة وانما كان ذلك مكراً منه وخديعة وحيلة للفساد وتدبراً منه عليهم ليبطل الامر ويضمحل فهذا اصلحك الله اصح دليل وأوضح برهان لا يجيل الا على من قد اعمى الجهل بصره وطمس على قلبه والا فاية حجة أو اي شيء من الشرح اكثر مما قد شرحنا . ولولا انك الرجل الذي قد قرأت كتب سرائر الله ودرستها حق دراستها وان الانصاف اصل شيمتك لما شرحنا لك هذا الشرح والحق رحمك الله فيه بعض المرارة عاجلة وحلاوة كثيرة آجلة فلهذا السبب قد اكتفينا بما ذكرناه فاصبر للمرارة اليسيرة من الدواء تعقبك حلاوة كثيرة في العاقبة على انك تعلم وكل من ينظر في كتابنا هذا اننا لم نكتب اليك بشيء زيادة على ما في كتابك من ذات انفسنا بل ولم نثبت الا الصحيح مما نقلته رواتكم العدول الثقات عندكم المأخوذ بقولهم المعول في الدين على ما نقلوه من هذه الاخبار وغيرها في صحتها وانهم لم يتزيدوا فيها ولا مالوا الى احد الفريقين وقد ثبتنا صدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب انه انما هو كلام منثور لا نظام له ولا تأليف ولا معنى ينسق بل هو متناقض كله ينقض بعضه بعضاً فقد صح عندنا وعند كل ذي لب ان الذي نقلوه الينا من خبره هو على ما حكوه ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا من تناقضه وتفاوت معانيه واخبار اصل جمعه اكثر مما شرحنا ولكن في ما اثبتنا كفاية لذوي الالباب والعقول ومن اراد نصح نفسه فأي جهل

اعظم من جهل من ادعى ان هذا الكتاب حجة ودليل لمن جاء به وشاهد لنبوة نبي مبعوث مثل فلق البحر لموسى واحياء الموتى وابرآء الكمه وتطهير البرص لسيدنا والهنا المسيح مخلص العالم ان هذا حقاً لجاهل مائق لانه لم يعقل كيف يشبه ويقرن بين الاشكال على اني لا اظن احداً به ادنى مسكة من عقل او له ادنى تمييز يجترئ ان يفكر في هذا فضلاً عن ان يتفوه به ولم يخطر مثل هذا قط الا على بال غبي غارب العقل مختلس اللب ضعيف القلب . افتراك اعزك الله تحمل نفسك في صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة فحصك على ان تحتج بمثل هذا الكتاب مع ما قد عرفت من اخبارة واسباب اصوله فهذه حجة منكسرة عند مثلي من ذوي التفتيش والبحث على اصول الاخبار . وانت تعلم اني الرجل الذي قرأت الكتب وعنيت بعرفة الاصول وكيف كانت من اولها الى آخرها وان المبهرج من الاخبار والمدلس من الاحاديث غير جائز على من مثلي ولا نافع عندي . فاخبرني اصلحك الله عن قول صاحبك «قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (اسرى) افتقول افصح الفاظاً منه فجوابنا لك في هذا نعم افصح منه كلام اليونانية عند الروم والزوبة عند اهل فارس والسريانية عند اهل الرها والسريانيين وعبرانية بيت المقدس عند العبرانيين فان كل لسان له كلام فصيح عند اهله من سائر الالسن ولهم الفاظ فصيحة يتخاطبون بها وهي عندك

كلها اعجمية كما ان لسانك العربي الفصيح عندك اعجمي عندهم هذا اذا اطلقنا قولك ان كتابك افصح الفاظاً بالعربية وذلك ان صاحب فصاحة الالفاظ باي لسان كان هو الذي لا يحتاج الى استعارة الفاظ غيره ولا يستعين بها في خطبه وكلامه بل يكون مستغنياً بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افتقر في كتابه الى استعمال لسان غيره وهو القائل « انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وقد خاطب به اعراباً عاربة فصحاء بلغاء اصحاب خطاب كقوله الاستبرق وسندس واباريق ونمارق واشباه هذه التي انما هي الفاظ فارسية ومثل المشكاة فانها لفظة حبشية وهي الكوة ومثل هذا كثير قد استعمله في كتابه فنقول ان العربية ضاقت عليه فلم يكن فيها من الاتساع مالا يلجيء معه الى لسان غيره في هذه الاشياء سيما وانت ترى انها منزلة من عند رب العالمين على يد جبرائيل الملك الامين . فاما انك توقع النقص بالمرسل او بالرسول فان كان من عند صاحبك فوقع النقص به لانه لم يكن يعرف هذه الاسماء بالعربية ولم يدرك علمها فلذلك اعجزته فهذه الفاظ امرء القيس وغيره من الشعراء والفصحاء المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصى عددهم وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك افصح الفاظاً منه وارق وادق معاني باقراره لاهلها حيث حاجوه فقطعوه فقال « بل هم قوم خصمون » لانهم خصموه فكانوا خصماً باصح حجة وابلغ في الخطابة منه وهو القائل ان من البيان لسحراً فلا يخلو اذاً امر

هذا الكتاب وما وضع فيه من الالفاظ الاعجمية من ان يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربي مع علمنا نحن وانت بان لساننا العربي اوسع الالسن كلها او ان يكون قد ادخلت فيه الزيادة من قوم آخرين كما ذكرنا لك في اصل خبره وان الايادي الكثيرة قد تداولته فاخبرني اصلحك الله اي القولين احببت فانه لا محيص لك من ان تقول باحدهما وانت عارف بنتيجة ذلك اذا قلته فان قلت انهم لا يقدرون ان يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه قلنا لك ان تنضيد الشعراء لشعرهم ووزنهم له الوزن الصحيح الذي هو اصعب وادق معنى لا يغادر بعضه فيه بعضاً واختيار الالفاظ النقية الصافية العربية الخالصة مع اتساق المعنى الحسن اكمل في الاحكام واصح في الصنعة لان كتابك كله انما هو سجع منكسر وكلام مخلف وتكبير معان لا معنى لها . فان قلت بل هو اصح معاني سألناك اي معنى غريب ظفرت به فيه ادللنا عليه واعلمنا به حتى نتعلمه منك واي معنى صحيح وجدته فيه وغريت بمعرفته اخبرنا به واوقفنا عليه أو اي خبر لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحة في شيء من الكتب المتقدمة استفدته منه أليس هو الذي قرأناه ودرسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن اصوله واسبابه وفتشنا عن خبره فصرنا في العلم به ارسخ من كثير من اهله واي شيء هذا من الآيات العجيبة التي يعجز فعلها امكان الآدميين حتى تصير حجة ودليلاً على بعثه نبياً يوجب الاقرار له بالرسالة والنبوة والايمان على الوحي والتبشير .

من عند الله حتى يقاس به أو يرى فيه آية مثل فلق البحر واحياء الموتى وسائر آيات الانبياء العجيبة وانما صار هذا كذلك وجاز عليك بالتدليس والبهرجة ووصفه بالفصاحة وحسن التنضيد وجودة الاعراب وان الانس والجن لا يقدرون على ان يأتوا بمثله لانه وقع الى قوم اميين انباط سقاط عجم علوج فعظم في اعينهم وكبر في صدورهم والا فانت اذا اصدقت نفسك تيقنت كيف كان اصل القصة في هذا وان مسيلمة الحنيفي والاسود العنسي وطليحة ابن خويلد الاسدي وغيرهم قد عملوا مثلما عمل صاحبك وا بهد اني قرأت مصحفاً لمسيلمة لو ظهر لاصحابك لرد اكثرهم الا انه لم يتهيأ لهؤلاء انصار مثلما تهيأ لصاحبك وكأني بك قد لجأت فذكرت اللغة واعتددت بها وجعلتها خبئة لك تستتر تحت فيئها فانت تعلم ان حجتنا في اللغة وحجتك واحدة والامر بيننا فيها مشاع غير مقسوم وانا فيها شركاء فليس لك علينا فيها فضل ولا في يدك منها ما ليس في ايدينا ولا علمك بانقد فيها من علمنا وانك لتقر طائعاً انا معشر العرب نرجع جميعاً في اللغة الى يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل ابينا وانما هذه الحجة المبهرجة هي دعوى مدلسة تجوز على الانباط والاسقاط والعجم والمغفلين والاغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربي وانما هم فيه دخلاء فلما ورد عليهم منه ما لم يفهموه صدقوه وتناولوه على قدر عجمتهم فاما العرب العاربة كلها الذين هم البدويون فلسانهم واحد ولغتهم واحدة وكل منهم يفهم كلام صاحبه واما اهل الحضر ومن نشأ

بين الابيات من الاسقاط والانباط وخالط العجم والاعلاج فلعمري لقد افسد بعضهم كلامه لطول المعاشرة وغلبة العادة فليست بك حاجة الى ذكر اللغة ولا لك في ذلك بلغة ولا ملجأ . فان قلت ان قريشاً افصح العرب وانهم قوم خصمون بالحجة وهم فرسان البلاغة والخطابة عارضناك بما لا تقدر ان تنكره ولا تجحد صدقه وهو ان مليكة بنت النعمان الكندية حين اقتنصها صاحبك وصارت عنده قالت «امليكة تحت سوقة» فانت ونحن لا نشك ان قريشاً كانت تجار العرب وسوقتها وكندة كانوا الملوك والمسلطين على سائر العرب ولست اقول هذا افتخاراً عليك بشرف جنسي من الكندية ولا لموضع نسبي في العربية بل لكي تعلم ان كندة كانوا اقوياء فصحاء بلغاء خطباء شعراء رجالاً للملك وقادة للجيوش ذوي انعام وافضال حتى لقد كانت العجم من الروم والفرس يرغبون في مصاهرتهم ويفتخرون بحمل بناتهم اليهم هذا ما لا يدفعه الا جاهل ولقريش من الفضل والسودد والكرم وخاصة لهاشم ما لا ينكره الا من قد اعمى الحسد بصره وطمس نور عقله وكذلك قولي في جميع العرب وسائر قبائلهم لان لهم الفخر والسبق بالفضل والكرم تخصيصاً من الله على سائر العجم . فان ادعيت ان كلام العرب مدون في الشعر وان اخبارها قد قيدت به فلا نماريك فيه ونسلمه لك ولا نلتفت اليه وذلك قلة اكتراث لهذا القول وقلة مبالاة به لانه قول لا يخفى فساده على ذوي الالباب وتدحض الحجة فيه ولا تثبت عند اهل النظر لاننا قد نجد كل

مشغوف مصروف ودعي اعجمي قد قال الشعر فاذا نحن قرنا شعره بشعر غيره من العرب العاربة اهل اللسان البدوي لم نجده مختلفاً عنهم ولا مجانباً لهم بل وجدناه سالكاً سبلهم محتذياً منهجهم واذا كان هذا كذلك فليس تدوين العرب اذاً اخبارها وتقييدها كلامها بالشعر حجة في كتب سرائر الله للقائل بها حجة ناطقة لانه لا يؤمن ان يكون قد قيل من الشعر ما قد اشبه به شعر القدماء من العرب بما قد وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس اذاً الشعر حجة عند اهل الفحص والنظر ولا دعوى صحيحة بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيان الموسوسين غير اننا معشر العرب نقدم الشعر ونؤثره ونقول بمحاسنه ومفاخره ونذكر فضائله ونعلم ان ديوان العرب فيه آداب كثيرة وعلوم ظريفة واحاديث عجيبة ولا نشك عند تحملنا الامور ان صدقنا انفسنا انه قد افسد وادخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة لانه كلام لا يخطر عليه وانما هو منثور من خواطر النفوس الفارغة وشاع بين الناس جميعاً يتناوله من احب ويناله من طلبه تقرباً به الى الملوك للاكتساب والمواصلة اليهم باسبابه فلهذا احتمل ان يدخله الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس اذن الشعر حجة البتة في شيء من كتب سرائر الله الا لغة فاسدة ناقصة العقل فاقدة التركيب . فلا تظلم اصلحك الله عقلك وتبخس تمييزك حقه بغلبة سلطان الهوى الجائر والعصبية فانه انما يجوز مثل هذا على الاغمار والجهال والآفنين واهل النقص في الرأي الذين لا عقل لهم

ولا معرفة عندهم ولم يتخرجوا بمطالعة الكتب ومعرفة اصول الأخبار المتقدمة فهم همج كأجلاف الاعراب المعتادين لأكل الضب والحرباء قد ربوا على الفقر والمسكنة وشقاء العيش في البوادي والبراري تسفعهم سمائم الصيف وزمهرير الشتاء وهم في غاية الجوع والعطش والعرى فحيث لوح لهم بذكر انهار خمر ولبن وانواع الفاكهة واللحم الكثير والاطعمة والجلوس على الاسرة والاتكاء على فرش السندس والحرير والاستبرق ونكاح النساء اللواتي هن كاللؤلؤ المكنون واستخدام الوصائف والوصفاء والماء المعين المسكوب والظل الممدود التي هي صفات منازل الأكاسرة وقع هذا في خلدهم وكان بعضهم قد رأى ذلك في اجتيازهم ومسيرهم الى ارض فارس استطاروا فرحاً وظنوا انهم قد نالوه فعلاً عند سماعهم اياه قولاً وظفروا به فحملوا نفوسهم على محاربة اهل فارس لاخذ ذلك منهم وظفرهم به . وقد علمت ان بعضهم قال لبعض في حربهم تلك وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس فلما اكلوا وتطعموا حلاوة ما فيها « والله لو لم يكن لنا ديانة نحارب فيها لوجب ان نحارب على هذا! » فحاربوا امة مجسة قذرة قد كانت طغت على الله وتجبرت فسلط جل وعز عليهم من لم يفكروا فيه قط فقتلوهم واخربوا بيوتهم بما كانوا يظلمون و يسفكون الدماء الزكية وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ينتقم ببعضهم من بعض ومثل الانباط والاسقاط الذين لاخلاق لهم قوم انما غذوا بالشقاء وربوا مع البقر

في السواد جورَة [١] الحميز الذين لا ادب لهم ولا حسنى ولا علم ولا معرفة فحيث تكلموا بالعربية تنطقوا يبسط السنتهم واستعربوا عند انفسهم واستطالوا على الناس فاحدهم يدعي الاسلام قولاً بلسانه وفي قلبه بعض من مرض يهوديته ومجوسيته فهو لا يعرف من خلقه ولو قيل له ما الحد الذي تفرق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة لم يدر ولم يحسن ان يميز ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه وانما هم كالانعام بل واضل سبيلاً وكالبهائم الهائمة على وجوهها يميلون مع كل ريح ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كانوا عليه اولاً مثل عبدة الاصنام والمجوسية واوساخ اليهود وسفلتهم الذين انما طلبوا التعزز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان و بسط السنتهم على ذوي الاقدار واولاد الاحرار واهل الحسنى والمعرفة واهل الديانة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب. ومثل اهل الريب والخيانات ايضاً والجرائم الذين لم يكن يتهيأ لهم ارتكاب المحارم ونكاح الفروج التي حرمها الله عليهم مع بقائهم في الديانة النصرانية الا بانصباب ذلك لهم بالدخول في هذه المقالة ومثل من اباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجسدانية فمال الى الدنيا ولذاتها وزخرفتها طلباً للعز القليل الزائل الفاني وشيكاً الذاهب سريعاً منها وطرحاً للكثير الدائم الباقي الذي لا انقطاع له ولا زوال وهو في الآخرة فانحاز الى هذا القول وجعله سبباً له وسلماً اوصله الى ما اراد اذ

[١] جمع جائر وهو الحائد عن طريق السواء

كان اقوى اسباب الدنيا يعبر منها ويعول عليها التي جعل سلطانها باب المدخل اليها والسبيل الى ارتكاب الكبائر والمعاصي فيها ومال ايضاً الى هذه المقالة من جعلها متجراً ومكتسباً لرزقه الذي قد كفاه ولقوته الذي قد فرغ له من الاهتمام به والا فهل رأيت اكرمك الله او بلغك ان من له بصيرة في الديانة او علم او معرفة او تحصيل الامور او قراءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد صحيح او نظر في حكمة او مدعى فلسفة صحيح العقل والفكر انقاد الى غير الديانة النصرانية وخرج منها جاحداً مقالته ناكراً معرفته من غير سبب دنيوي دعاه الاضطرار اليه ليجري بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه وما تنازعه اليه نفسه من الامور الخسيسة التي كانت الديانة النصرانية تحظرها عليه وتمنعه من الدخول فيها وتقبح له فعلها بل من لم يكن يتهيأ له ذلك ولا يمكنه فعله دخل في دين هو مطمئن فيه لما يريد من ذلك آمناً غير خائف تحت سلطان هذه الدولة مظهراً متابعة اهلها على قولهم . فهذه اكرمك الله اقوى اسباب هؤلاء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك واجتمعوا معك على اعتقادك واكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسرّون خلاف ما يظهرونه فمنهم من يزري على صاحبك في حسبه ونسبه ومنهم من يسبه ويدعي في ذلك الكذب والبهتان ومنهم من يزعم ان غيره كان احق بالامر منه ولكنه وقع اليه ذلك بالغلط وبعض يقول ان الروح القدس انقسم ثلثة اقسام فقسم كان في عيسى وقسم في موسى وقسم في رجل آخر اكره ذكره

وان صاحبك خلو من ذلك فهولاء عندي اجهل البرية واشر من الزنادقة واردأ مذهباً منهم وهم يظهرون الاسلام ويفتخرون به في ظاهرهم وكل ذلك ليتعززوا بسلطان الدولة على النصارى السليمة قلوبهم المشبهين الحملان بين الذئاب الخاطفة كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلصهم الذي الهمهم بما هو مزمع ان يكون من امرهم . ولو اسهبت لاصف لك مقالات اصحابك ومعاذ الله ان يكونوا لك اصحاباً بل هم اصحاب الشياطين وحزبه وشيعته واولياؤه وما يروونه من الاحاديث الكاذبة الشنيعة التي تكاد تخزى الجبال منها للفرية التي فيها على الله جل ذكره اولاً ثم على صاحبك وما يقذفونه به من الاباطيل ويشنعون عليه به من الكذب الذي لم يخلق الله له اصلاً وصاحبك بريء منه كله لطال كتابي بذكره. فما قولك في من يروي عنهم انهم يقولون لربما هوينا امراً فوضعنا فيه حديثاً وما اظنك ممن يروي ان الله جل وعز عما يفترون بعث الى ابي بكر يقول «يا ابا بكر اما انا فراض عنك فهل انت راض عني» فحسبك بهذا دليلاً على فريتهم على الله جل وعز وكذبهم وشنيعتهم وكم مثل هذه الاحاديث قد زوروها والفوا عليها فلعمري لقد صدق صاحبك حيث قال انه ما من نبي الا وقد كذبت عليه امته وان امتي ستكذب عليَّ ايضاً ولكني لا اعرف امة كذبت على نبيها كذب اليهود وما ادري ما اقول في هؤلاء وفي كذبهم . واما الخلاف في الاذان والتكبير على الجنائز والتشهد وصلوة الاعياد وتكبير التشريق

ووجوه القراءات ووجوه النسيء والفتيا وما اشبه ذلك فانه امر يطول خبره جداً ولولا انني اعلم انك الرجل الذي قد فتشت احاديثهم وانتقدها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لك مجاريها لكتبت اليك في هذا الفن اشياء يطول الخطب فيها لكني اعرفك عالماً بجميعها غير شاك في ذلك وقد سبرت الدولة وظاهر قول الديانة واسم الاسلام والتحلي به والاعاجيب من اعتقادهم وكذبهم على الله وانبيائه ورسله واوليائه وعباده الصالحين وما يكتمون من النفاق و يظهرون انهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم وهم الدغاون الغاشون لله جل ذكره ولانبيائه ورسله اذ كانوا يروون عن الله مثل هذه الاحاديث فكيف لا تأخذهم الرجفة وكيف لا تطبق عليهم السماء بالسخط والعذاب وهم ينطقون بمثل هذه العظائم ولكنه جل وعز لم يزل مستعملاً طول الاناة والامهال لانه جل اسمه لا يخاف الفوت وهم اليه يرجعون فهو يمهلهم الى يوم تنكشف فيه الستور ونعوذ بالله ان نكون من القوم الظالمين. واما قولك اصلحك الله انه مكتوب على العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فلقد كثر تعجبي منك كيف جاز هذا عليك في فطنتك ودقة عقلك وصحة فكرك وكيف امكن ان تتصور مثل هذا في عقلك انه صحيح حتى ترويه وتكتب به الى مثلي من اهل اليقين ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار وجوابك في هذا عندي مما يمثل به العامة انك تخدع نفسك وتضع من عقلك وذهنك لانك في حكمتك لم تترك شيئاً المشبهة

اليهود الذين يحدون الله ربهم انه جالس على عرش محدود فلم ترض ان اجلسته على عرش محدود حتى تكتب على العرش اسمه واسم آخر من خلقه ليت شعري أهو كتب ذلك الكتاب ام كتب له ولم كتب ذلك ألنفسه لئلا ينسى اسمه ام لتعرفه الملائكة فقد كانت عرفته الملائكة حين اراد خلق النور فقال ليكن النور فكان النور وعند ذلك مدحته وسبحته قائلة سبحان خالق النور وعلمت انها مخلوقة وان لها خالقاً فتلك المعرفة في الملائكة قائمة غير زائلة بانه خالقها وليس لها حاجة الى ان يكون لها كتاب نصب اعينها يذكرها لئلا تنسى اسم خالقها وهي تسبح اسمه وتقدسه من غير فتور ولا انقطاع وتنفذ امره جل وعز في كل لحظة وان كان انما كتب ذلك للناس فهم غير منتفعين به لانهم لم يروا ذلك العرش ولا قرأوا ما عليه من الكتابة . فان قلت ان ذلك كتب ليقرأ يوم القيامة فاقم لنا دليلاً وبرهاناً على ذلك صحيحاً مقنعاً على انك تعلم ان الناس كلهم يوم القيامة يعطون المعرفة الكاملة بخالقهم وتبطل في ذلك الوقت الشكوك وتضمحل الظنون كلها ويحصلوا على اليقين الصحيح يوم لا ريب فيه يوم تجزى كل نفس بما كسبت فلها شغل بما هي فيه فقد هدر قولك وتهافت دعواك ان على العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله وبعد فلم ار احداً من اصحابك يوافقك على ذلك ولا يطابقك على رأيك بل كلهم واكثرهم الراسخون في العلم يبطلونه ويردونه اشد رد ويكذبون به اعظم تكذيب وانه

محال لم يأت ذكره في الاثر ولا له في كتابك الذي زعمت انه منزل من عند الله عز وجل ذكر البتة فليت شعري من اين جئتما انت به بل اخاف يرحمك الله ان تكون اخذته من سماجات اليهود فان لهم مثل هذا وشبهه من التشنيعات التي قد وضعوها ودسوها اليكم بلطيف حيلهم ورقة كيدهم في الادغال طلباً المعائب والمكايدة والقاء الشرور بين الناس فان صدقت نفسك اصلحك الله علمت حقاً ان هذا محال لا معنى له ولا منفعة وان الله في حكمته لا يفعل المحال وما ليس له معنى وقد وجدنا اجماعكم على ان الرجل اذا قام خطيباً فيكم يبالغ في دعائه ويظن في نفسه انهُ قد بلغ الغاية القصوى في خطبتهِ فيفتتح كلامهُ قائلاً «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم» فاراك ابقاك الله ظننت انك قد بالغت له في الدعاء والصلوة عليه اذ تمنيت له وطلبت متشفعاً ان يصير مثل ابراهيم اوكاحد آل ابراهيم فهذا اصلحك الله نهاية الشناعة ان رجلاً اسمه مع اسم الله جل ذكره وتقدست اسماؤه مكتوب على العرش من نور وان آدم بل الدنيا كلها انما خلقت بسببه كزعمكم تتمنى له اللحاق برجل من آل ابراهيم ممن قد علمت واكره ذكر اسمه في هذا الموضع وكتابك الذي تزعم انه منزل من السماء يشهد ويكرر الشهادة في عدة مواضع قائلاً «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين» (بقرة) فقد وجب عليك في هذا القول ان بني اسرائيل افضل منك وممن

ذكرته بالفضائل وانما كان عهدي بمثل هذه الشناعات من عمهة اليهود ولم اظن عقلاء المسلمين يعتقدون بمثل هذا وشبهه وجوابنا لك ارشدك الله في الماضي والمستانف من كتابنا هذا على قدر ما يحتمل من الكلام على انا قد وضعنا النصفة بيننا و بينك اساساً لكلامنا وطرحنا التطاول بالسلطة والبذخ والتفاخر بالانساب لانا اذا حصلنا على العلم بانفسنا وصدقناها عرفنا انه ليس لاحد على صاحبه فضل في النسب واننا نرجع الى اب واحد وام واحدة وجميعنا خلقنا من طينة واحدة ليس لحم اطيب من لحم ولا دم اطيب من دم وانما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم ولقد احسن عندي القائل قيمة كل امرئ ما يحسن من علمه وعمله واني كثيراً ما استصوب هذا الكلام من قائله وانما ادخلت هذا القول في هذا الموضع وان كان ليس من جنس ما نحن بصدده حتى اذا نظر في كتابي ناظر متعنت ينظر بعين العماهية والجهالة التي ثمرتها الحسد لا يسبق الى قلبه لضعفه وركاكته اني لم اكن عارفاً من حق اهل البيت ما اعرفه واوجب ما اوجبه فكيف وانا معتقد ذلك بجميع ذرية آدم ولكنني استعملت ما قاله بعض الحكماء ان ترك الجواب في موضعه عي وظلم للعقل فكرهت ان اكون ظالماً لعقلي ولم التفت الى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحت كلامه وراء ظهري بل لم اتوهمه الا عدوا فضلا عن التفاتي اليه

وأما ما دعوتني اليه من الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان

فالجواب في ذلك اقرارك بلسانك في كتابك وما خططته باصابعك من امر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا فقد رأيت ذلك معاينة وسمعته وشاهدت تلك الامور الالهية المخالفة ما دعوتني اليه من الامور المبهرجة المدلسة فاكتف اكرمك الله بما رأيت وليكن لك دليلا وجواباً فلست اجيبك في هذا باكثر مما عندك من المعرفة وكفاك بذلك حجة عند نفسك.

واما قولك ان نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم سنة أبينا ابراهيم فجوابك قول المسيح الرب لليهود وقد قالوا له لم لا يغتسل تلاميذك فاجابهم الروح المحيي مخلص العالم وما [1] الذي يغني عن البيت المظلم ان يكون في ظاهره مصباح يتقد وباطنه مظلم وانما يجب ان تغسل النيات والقلوب من دنس الفكر وغل الخطايا الدنسة الرجسة فاما ظاهر الابدان فما معنى العناية في تنظيفها فيا ايها المرآؤن الآخذون بالوجوه الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج وفي داخلها الجيف المنتنة كذلك انتم تغسلون ظاهر ابدانكم وقلوبكم دنسة نجسة بالآثام. وما معنى غسل اليدين والرجلين والقيام على الصلوة وعقد القلوب والنيات والضمائر على قتل الناس وسلب اموالهم وسبي ذراريهم. فانظر اصلحك الله كيف اجابهم السيد المسيح انما ينبغي للانسان اولاً ان يغسل داخل قلبه ويطهره من الافكار الرديئة المؤدية الى الشرور والى ادخال المكروه على الناس واذا نظفت نيته وطهر ضميره من ذلك الاعتقاد الرديء

(١) قابل مرقس ص ٧

حينئذ يغسل ظاهر بدنه بالماء . فميز هذا القول اصلحك الله وانظر فيه
فلك اليس هو قول مقنع وجواب شاف . واما الختان فينبغي لك اولاً
ن تعلم قصته ثم تحث الناس على ذلك وان يمتثلوا سنة ابراهيم ابيهم
قول ان الله جل اسمه لما كان مزمعاً ان يدخل بني اسرائيل الذين هم
لد ابراهيم ارض مصر ولم يزل عالماً ان الشره سوف يحملهم على
رتكاب الفواحش التي قد حرمها عليهم ونجس اهلها جعل هذا سبباً
ن اراد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية نظرت الى هذه العلامة
اي في جسده وهي الختان فامتنعت ولم تواتيه فوسمهم الله بهذه السمة
لهذه العلة فكيف تحث الناس على الختان وانت تعلم ان صاحبك لم يختتن
كزعم اهل مقالتك على ما نقلت الرواة عنه انه لم يكن مختوناً بتة لانهم
شبهوه كما ادعوا له ذلك انه كآدم ابي البشر وشيث ونوح وحنظلة بن
ابي صفوان وهذا خبر ليس احد من اصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك
يشك في صحته . فان قلت ان المسيح قد اختتن قلنا لك قد اختتن
لاقامة سنة التوراة لئلا يرى انه استخف او نقص شيئاً من سننها ثم اكد
ذلك بقوله « لم آت لانقض بل لاتمم واكمل » [1] وكذلك قال رسول
الحق بولس [2] ان كنتم انما تختتنون لان المسيح اختتن فان ذلك
لا ينفعكم شيئاً ولا الغرلة ايضاً تضر شيئاً مع الايمان الصحيح والقلب
السليم النقي والا فيجب عليك ايضاً ان تقرب القرابين وتحفظ السبت

(١) قابل متى (ص ١٧:٥) (٢) قابل رومية ص ٢و٣

وتعمل الفصح وتقيم شرائع التوراة كلها كما اقامها المسيح سيدنا فانه فعل ذلك ورفعه عنا واكمله واتمه بفعله اياه وكفانا موءونة العمل بشيء منه واغنانا بسنه الحسنة الالهية وشرائعه الروحانية التي دفعها الينا عن السنن التي شهد جل وعز على لسان نبيه قائلاً اني اعطيتكم يعني بني اسرائيل سنناً ليست بحسنة وشرائع لن تقدروا ان تحيوا بها . فان انصفتنا علمت ان الختان ليس هو عليك فريضة واجبة لان كتابك الذي تدعي ان فيه شرائع دياناتك يذكر ان ليس الختان شريعة واجبة وانما هو سنة من شاء استحسنها وعمل بها ومن شاء استشنعها ولم يعمل بها . ومن اختتن من اصحابنا واسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة فليس يفعل ذلك لانه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحل له الا القيام بها بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند اهل الزمان والتشبه باهل دهره الذي هو مقيم بين اظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير لعلمنا ان من تغوط كان احق ان يفيض عليه الماء السابغ بالغسل بقدر ما يخرج منه نتن الرائحة وقبيح المنظر بخلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة بل يتولد منها انسان كامل المعرفة والعقل والعلم يكون منه النبي المرسل والملك المسلط والحكيم الناقد والعبد الصالح المسبح لله ليلاً ونهاراً وكذلك يفعل من اجتنب منا اكل لحم الخنزير كاجتنابه اكل لحوم الحمير والجمال لان ذلك غير محرم عليه لان الله لم يخلق شيئاً قبيحاً كقوله جل اسمه في التوراة

على لسان موسى نبيه في سفر الخليقة «فنظر[١] الله الى جميع ماخلقه فرآه حسناً جداً » فالله تبارك وتعالى استحسن كل ما خلق أفأجترئ انا واقول عن شيء خلقه انه قبيح او حرام اذن اكون معانداً لله مقاوماً ما خلقه واستحسنه ومعاذ الله ان اكون لربي معانداً بل كل ما خلقه الله مما تقبله نفسي ويجوز لي في طبيعتي اكله فهو مطلق لي وللجميع ولد آدم غير اكل الدم والميتة وما ذبح للاصنام فانه نزل في تحريمه امر من الله نص فالسبب في تحريم الخنزير والجمل وغيرهما مما حرم على بني اسرائيل اكله فذلك انما حرم عليهم لعلة معروفة مشهورة لانهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا الى اهل مصر يعبدون الاصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم الا ترى كيف اجاب موسى فرعون قائلاً له لن يجوز ان نقرب لله قرابين تجاه المصريين لاننا انما نريد ان نقرب القرابين التي يعبدونها وهي آلهتهم فاذا فعلنا ذلك بين ايديهم لم نؤمن انهم يرجموننا اذا قربنا آلهتهم وذبحناها فدل بهذا القول ان اهل مصر كانوا يعبدون الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم ودليل آخر ان موسى حيث اقام في طورسيناء وثب بنو اسرائيل على هارون اخيه قائلين له اتخذ لنا الهاً نعبده فان موسى قد ابطأ علينا ولا نعلم حاله وانما اتخذ لهم صنماً على صورة العجل على منهاج ما كانوا يرون من عبادة اهل مصر مثله فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة من البهائم ويقربون

---

(١) قاين تك (١:٣١)

لها القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس وما اشبه ذلك من الاشياء التي هي عندهم اخس في الخلقة من خلقة آلهتهم فحيث امر الله موسى بالقرابين امره ان يقرب له من الثيران والبقر وسائر الغنم لا غير ذلك وامر ان ينجس الخنزير والجمل والحمار والفرس ليعلموا ان هذه نجسة في اكلهم اياها فضلاً عن تقريبها لي اذ كان المصريون يقربونها لآلهتهم بل كلوا لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم التي كانت آلهة عند اولئك وقربوا لي منها وتجنبوا اكل الخنزير والجمل والحمار والفرس وما اشبه ذلك ولا تقربوا لي شيئاً منها اصلاً لانها نجسة غير زكية لذلك السبب فزهدهم في عبادة الثيران والغنم والكباش والبقر باطلاقه لهم اكل لحومها وتقريب القرابين منها وزهدهم في عبادة الخنزير والجمل والحمار والفرس وما اشبه ذلك ونفرهم منها بانه صيرها نجسة غير زكية ولم يطلق القربان منها فحذرهم من عبادة الجميع بالقانونين جميعاً فليس الحرام والنجاسة ان يؤكل لحم الثيران والبقر وسائر الغنم والكباش والخنزير والجمل والحمار والفرس بل الحرام والنجاسة ان نعبد هذه ونتخذها آلهة من دونه جل وعز فاما من لم يعبدها ولم يكن اعتقاده انها آلهة او قرب منها شيئاً للاصنام فليس ذلك بحرام عليه ولا بالنجس عنده ومأكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخنزير والجمل والحمار والفرس حلال ورزق من الله طيب يأكله الانسان مطلقاً ما لم تعفه نفسه او ينفر منه طبعه فان ترك اكل الجميع او بعضه فذلك

اليه لا لوم عليه فيه فاما تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها واطلاق اكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس الذي اتى به صاحبك .فالسبب فيه من ذينك اليهوديين عبد الله بن سلام ووهب بن منبه اللذين افسدا الدنيا واهلكا الامة وصاحبك بريء من هذا كله. . . . .

. . . .

واما دعوتك لي الى حج بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام فسبحان الله ما اعظم هذا الكلام لقد جئت بامر فري كانك تكلم صبياً او تخاطب غبياً او تجادل عيا فليت شعري أليس هو الموضع الذي عرفناه جميعاً حق معرفته ووقفنا على اصول اسبابه وكيف كانت القصة في ثباته وكيف جرى امره الى هذه الغاية اوَلا تعلم ان هذا فعل الشمسية والبراهمة الذي يسمونه النسك لاصنامهم بالهند فانهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم من الحلق والتعري الذي يسمونه الاحرام والطواف ببيوت اصنامهم الى هذا الوقت على هذه الحالة فلم تزد عليه انت شيئاً ولا نقصت منه ذرة فانك اخذته بذلك الفعل الذي سميته النسك متمسكاً بتلك العادة محتذياً تلك السبل الا انك تفعله في السنة مرة واحدة في وقت مختلف واولئك يفعلونه في السنة مرتين في دفعتين معروفتين عند دخول الشمس اول دقيقة من الحمل وهو الربيع وفي دخولها اول دقيقة من الميزان وهو

الخريف ففي الاول لدخول الصيف وفي الثاني لدخول الشتاء فهم يضحون كما تضحي انت وينسكون كنسكك لاصنامهم واندارهم فهذا سبب حجك ونسكك ومقامك تلك المقامات وافعالك تلك الاعجوبات وانت واصحابك عالمون ان العرب كانت تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الافعال في قديم الزمان منذ بنت هذا البيت فلما جاء صاحبك بالاسلام لم نره زاد في هذه الافعال ولا نقص منها شيئاً غير انه لبعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة جعله حجة واحدة في السنة واسقط من التلبية ما كان فيـه شناعة والقصة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشمسية والبراهمية ببلاد الهند الى هـذه الغاية وتنسك فيها لاصنامها. واني لاستصوب قولاً لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقـام فقال والله لاعلم انكما حجران لا تنفعان ولا تضران ولكني رأيت رسول الله يقبلكما فانا اقبلكما كذلك فان كان الرواة الصادقون الذين رووا هذه الرواية عنه كذبوا عليه او لم يكذبوا فقد صدقوا في ما حكوه عن هذين الحجرين وان كانوا صدقوا عنه انه قال ذلك فلقد قال قولاً حقاً فكيفما اردت القول ايها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق. فاما ما يريد العائب ان يعيب به من يحلق شعر رأسه ويتعرى ويعدو ويرمي بالجمرات فهذا فعل من قد غرب عقله وانكر فهمه ومن يتخبطه الشيطان فقد نجد مساغاً للعيب وموضعاً للثلب ولقد احتججنا لكم عند من ثلبكم بهذا وقلنا انما يفعلونه من جهة التعبد وليس في التعبد عيب فاجابنا ان

الله جل وعز حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشنعة التي تنفر الطباع منها و يستسمجها العقل بل بالسنن التي يستحسنها العقل و يفضلها اعني السنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضها على عباده ان يدينوا له بها ويتقربوا باقامتها اليه والا فما انكاركم على المجوس الانجاس حيث نكحت الامهات والبنات والاخطوات وتطهرت بالبول المعتق واوقفت النساء امام الموابذة حتى ينضحوا البول المعتق على. . . . . بعد الولادة فان كان هذا قبيحاً في التعبد فما انتم فاعلوه من الحلق والتعري والرمي بالحجارة والهرولة اقبح واقبح من هذا كله ما جاء في ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلاً آخر يسمى الاستحلال وان يذوق من عسيلتها وتذوق من عسيلته ثم مراجعة الرجل الاول بعد ذلك هذا وقد يكون لها اولاد رجال نبل و بنات نساء كبار ذوات بيوت والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير وتكون هي المرأة النبيلة في قومها المشار اليها في عشيرتها البهية في اهلها ذات المجد والبيت الرفيع فهذا اقبح واشنع من فعل المجوس الاقذار الانجاس وان كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاسة. فهل ترى اصلحك الله ورضي عنك ان تدعوني الى مثل هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله فاني اظن بغير شك انها لو سئلت فاذن لها في النطق لاخبرتنا بقبح هذه الافعال واستشناعها اياها واعلمتنا لو اجبنا الى دعوتك انا قد ظلمنا تميزنا وطباعنا واعوذ بالله ان اكون من القوم الظالمين . واما قولك انك تنظر الى حرم رسول

الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة فقد صدقتَ اكرمك الله في قولك انها مواضع عجيبة واي عجب اعجب من تلك المواضع عند ذوي العقول والتميز التي يرتكب فيها ما يرتكب من ظلم العقل والتمييز الذي فضل الله به الانسان على سائر البهائم وانعم به عليه . واما قولك انها مواضع مباركة فخبرني ما الذي صح عندك من بركتها اي مريض مضى اليها فبرئ من مرضه او اي زَمِنٍ قصدها فنهض من زمانته او اي ابرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه او اي اعمى صيرته الى تلك البقعة فانفتحت عيناه او اي مخبط من الشيطان حمل الى ذلك البلد فرجع صحيحاً سليماً فما اظنك ابقاك الله بل كيف اظنك وحدك ولا اجد احداً ممن يتقلد مقالتك او يرى رأيك يجترئ ان يفكر في مثل هـذا ويقول ان مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك فضلاً عن ان يدلنا على احد يومى اليه انه كان عوفي وانصرف عن مثل الحال التي طالبناك بها . وكيف اقول وانت واهل ملتك ونبيك الذي تفخر به وبحجك اليه ليس احد على وجه الارض ممن يضمه هذا الفلك المحيط يقدر ان يدعي شيئاً مما طالبناك به او يصح في يديه الا من انتحل الملة النصرانية . فهذا امر قاطع فيك وفي غيرك من جميع اهل الاديان والملل فما معنى اضافتك ذكر البركة والتشريف والحاقك ذلك في هذه المواضع وانما عرفنا البركات تحل في المواضع التي يعبد الله فيها حق عبادته ويأويها الابرار الصالحون الاتقياء الذين قد وهبوا انفسهم لله فهم

في طاعته دائبون ليلهم ونهارهم لا يفترون ولا يشغلهم عن ذلك شاغل قد رفضوا الدنيا وخلوها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشيء من امرها فهم احق بان تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الاشفية والعوافي على ايديهم واذا سألوه تعالى اعطاهم واذا طلبوا انجح طلبتهم واذا تشفعوا اليه شفعهم واذا دعوه اجابهم لان موعده لا يخلف فيه ولا يضيع عنده اجر المحسنين وكذلك قال الله تبارك وتعالى على لسان داود النبي «يطلب الابرار فيجدون» وقال في موضع آخر «الرب قريب ممن يدعوه بالحق ويأتي مسرة اتقيائه ويسمع دعاءهم فيخلصهم والرب يحفظ جميع من يخشاه» (مزامير ٣٤و١٤٥[1]) واكد هذا القول الرب المسيح في انجيله المقدس بقوله اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا ثم قال في موضع آخر «ايما رجلان منكما يتفقان على مسألة امر ما من الامور باسمي فانهما يعطياها من ابي الذي في السموات»[2] فقد انجز موعده وحقق قوله وصدق ما جاء به من النور والهدى في انجيله فليس من مكروب ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بايمان صحيح ونية صادقة وقلب سليم من اولياء المسيح باسم المسيح المقدس الطاهر الا فرج عنه همه وغمه وكربه وكفي مؤونة حزنه ونزلت له العافية والشفاء من الله بواسطة اوليائه وبركة دعاء الصالحين عباده لانه طلب الامر من جهته وسأل حاجته

---

(١) قابلهما (٢) (قابل متى ١٨: ١٩)

من الناحية التي تسأل الحوائج منها فهذه الديارات العامرة بالبيع وجميع المواضع التي يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم ويأوي فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفيض على جميع من صار اليها وقصدها باخلاص نيته وسلامة قلبه واسترسال الى من يسكنها وتصديق لما في ايدي من يطلب منه ذلك فيضاً لا يطلب من احد ثمناً ولا مكافأة ولا ينال على ذلك جزآء ولا شكراً لان السيد المسيح مخلص العالم قال في انجيله الطاهر « مجاناً اخذتم مجاناً اعطوا ولا تقتنوا ذهباً ولا فضة (متى ١٠) فهم حافظون لوصيته تابعون امره مقتفون أثره وهو جل ذكره راع يسمع دعاءهم ويؤتي البركات وينزل الرحمة والاشفية على ايديهم للناس كافة الا من عاند الحق وارتد خائباً وصد معرضاً عن التقوى فانه يخيب ويخسر على انه ان رجع قبل كما يقبل الآب الابن الحبيب الذي نظير الضالة يشرد عن بيت ابيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادماً تائباً عارفاً بما يجب عليه من الحق اللازم له مقراً بخطيئته متنصلاً من ذنبه متخذلاً ذليلاً لما جنى من نكوصه وشره فتتلقاه رحمة ابيه فيقبله حق القبول ويسر بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته واوبته ولا يؤاخذه بما جناه على نفسه بقلة معرفته وجهل صبائه ثم يقول له انك انت كنت ميتاً فعشت وضالاً فهتديت ومستغوياً فرشدت

فميز اصلحك الله الامرين ولا تتداخلنك الحمية فانها ثمرة كيد الشيطان ان الشيطان كان للانسان عدوا فهل ترى لي يرحمك الله ان

ادع ما في يدي من هـذه النعمة العظيم قدرها الجليل خطرها التي تغبطني الملائكة عليها فضلاً عن بني البشر من ذرية آدم وما كانت الانبياء والملوك والابرار تترجاه وتتوق انفسها اليه واالخذ بما كتبت به الي مما يأنف منه طبعي و يأباه تمييزي ويلومني عليه عقلي وينفر منه ما اظنني اكون اذا فعلت ذلك لنفسي من الناصحين ثم قلت ادعوك الى سبيل الله الذي هو غزو المخالفين والكفرة المنافقين وقتال المشركين ضرباً بالسيف وسلباً وسبياً حتى يدخلوا في دين الله و يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله او يوءدوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهل اردت ابقاك الله العاقل الحكيم ان تدعوني الى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة الذي انما افرغ حسده لآدم وذريته في شرذمة منهم استغواهم فافرغ فيهم غيظه وملأهم حنقه وحدته وجعلهم سلاحاً له واولياء ينقادون لارادته و يبلغون مشيئته و يأتون مسرته وينتهون الى طاعته ومحبته في القتل والسلب والسبي فعرفني كيف اجمع بين قوليك و بين تباعدهما وانت القائل نقضاً لهذا في كتابك الذي تدعي انه منزل من عند الله «ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون (آل عمران) ثم تكتب «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء» (بقرة) ثم تزيد في هـذا شيئاً «ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افانت تكره الناس حتى يكونوا موءمنين وما كان لنفس ان توءمن الا باذن الله» (يونس) افلا ترى

كيف يناقضك هذا القول ثم تكتب «قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين» (يونس) ثم تكتب ايضاً في موضع آخر «ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم» (هود) ثم تكتب تأكيداً لهذا القول عن صاحبك انه «بعث بالرحمة للناس كافة» فاي رحمة مع القتل والسبي والسلب وانني لكثيراً ما اتذكر بعض اليهود اذ يسمي كتابك ناقض نفسه فانا لا اسمي كتابك بهذا الاسم الشنيع بل اسمي كلامك فانه حقاً مناقض نفسه الا فانت مدع ما انت دائب تدعي ثم ترجع لنفسك وتنقض كلامك لكنني اسألك ان تخبرني عن سبل الشيطان هل هي الا القتل والسفك والسلب والسبي والسرقة اتقدر انت او غيرك ان تقول في هذا انه ليس كما كتبت اليك فان احتججت علينا بموسى نجي الله تبارك وتعالى انه قاتل الكفار وعبدة الاصنام قلنا لك اذكر اصلحك الله ما قرأته في التوراة كم من اعجوبة وكم من آية فعلها موسى حتى صدقناه ان الذي اتاه من الحرب وقتال عبدة الاصنام كان عن امر الله وكذلك يشوع بن نون حيث استوقف الشمس والقمر فوقفا له وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها الا من كان من اولياء الله جل وعز فاية آية تقدر انت على ذكرها او اية اعجوبة تخبرنا ان صاحبك جاء بها مقدمة

تكون شاهدة له يجب علينا بها تحقيق قوله وتصديق ما جاءنا به وخاصة قتل الناس بامره وان يسلبهم اموالهم ويسبي ذراريهم ويقتصد بذلك قوماً هم اولياء الله المعتصمون بعبادته القائمون بفرائضه وسننه وقد بذلوا مهجهم في دينه وآمنوا بمسيحه واتقوه حق تقاته فهداهم الى الحق المستقيم فوجوههم مضيئة في الدنيا والآخرة. ثم لم يقنعك حتى سميته سبيل الله فحاشا لله جل وعز ان يكون هذا سبيله او يكون اقترف شيئاً من هذه المآثم احد من اوليائه او من اهل طاعته لان الله جل وعز لا يحب عمل المفسدين وكيف اقول في تناقض هذا الامر وتضاده اذ تكتب «لا اكراه في الدين» وتزعم ان الله تبارك وتعالى قد قال «وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد» (آل عمران) وانت الذي تقول «ولو شاء ما الله اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» (بقرة) وانت الذي تقول «قل يا ايها الكافرون» ثم تختم ذلك فتقول «لكم دينكم ولي دين» (الكافرون) وتقول «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن» (عنكبوت) ثم انت تحث على قتل الناس ضرباً بالسيف وسلباً وسبياً حتى يدخلوا في دين الله كرهاً وقهراً وكيف اصنع بك وباي قوليك أأخذ أبالاول ام بالثاني فندخل على قولك انه ناسخ ومنسوخ فانك الذي تدعيه هذا وان ادعيته لم تلحق معرفته لانك لا تدري ايهما

الناسخ ولا ايهما المنسوخ فلعل الناسخ هو الذي عندك المنسوخ وكذلك ينعكس عليك القول فيه ان الذي هو عندك المنسوخ هو الناسخ فاذ قد اقررت بالجهل بهذا وانك لم تحط معرفة به ولم تثبت له عندك حجة ولا تقدر ان تقيم فيه برهاناً صحيحاً عند من يطالبك بالبرهان الصحيح فليس بك ولا بنا حاجة الى ذكره . فقد خلصنا منك الآن على انك خالفت نفسك وابطلت قولك ودحضت حجتك ونقضت شرطك في انك ادعيت ان صاحبك بعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافة وان لا اكراه في الدين وفي قولك ان تضرب الناس بسيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى يدخلوا في دينك كرهاً ويقولوا بقولك قسراً ويشهدوا بشهادتك قهراً. فاذا كنا الى هذه الغاية لم تقف بعد هذا كله على صدق احد قوليك ولم تقدر على تحقيق احدهما بان نفرق بين الحق منهما والباطل وايهما المنزل والمأخوذ به وجب عليك من هذه المقدمات ان تكون النتيجة في ذلك ان القولين كليهما باطلان غير محقين لان الذي هو عندك حق يجب ان يعمل به لعله هو الباطل المتروك الذي لا يجب ان يؤخذ به ولا يعمل عليه وان الله جل ثناؤه لم يأمر ولا بشيء منهما فهل بلغك يرحمك الله او قرأت في شيء من الكتب المنزلة او غيرها ان احداً من الدعاة استجلب الناس الى مقالته ودعاهم الى الاقرار بما جاء به قهراً وكرهاً او ضرباً بالسيف وتهديداً بالسلب والسبي غير صاحبك فقد عرفت قصة موسى وما اتى به من الآيات المعجبة وقرأت اقاصيص الانبياء بعده وما

فعلوا وكان ذلك محققاً وشاهداً لما جاءوا به انه من عنـد الله . وقد هذرت المجوس الانجاس في ما ادعت وزعمت عن زاردشت انه حيث صار الى جبل سيلان نزل عليه الوحي هناك فحينئذ دعا كشتاسف الملك ودعاهم فاجابوه واذعنوا له حيث اراهم بسحره ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمتنع في الطباع مثل الفرس الذي احياه بعد موته ومثل ذلك الهذيان اتى به من باب الزمزمة الذي زعم انه يشتمل على كل لسان وجمع فيه كلام اكمل لغة نطق بها الآدميون وكتبه في اثني عشر الف جلد من جلود الجواميس وسماه زندوستا اي كتاب الدين فهم اذا سئلوا عن تفسيره انكروا معرفته واقروا بجهله وكذلك فعل البد بالهنـد حيث اراهم على ما زعموا عنقاء مغرب وفي بطنها جارية وهي تهتف بهم وتخبرهم ان البد صنم محق في كل ما دعاهم اليه وخبرهم به . فهذه بعض اخبار المستحسنين وخدعهم فهل تجد اكرمك الله احداً من الدعاة الذين دعوا الى حق او باطل الا وقد جاء بحجة او دليل صحيح بان ذلك امر بين وهو مموه في الظاهر ممتزج الى ان يدخل في ميزان المحنـة فحينئذ يتبين عنـد العيان صحته من خبثه وكذلك فعل كل ذي دعوة باهل دعوته غير صاحبك فانا لم نره دعا الناس الا بالسيف وبالسلب والسبي والاخراج من الديار ولم نسمع برجل غيره جاء فقال من لم يقر بنبوتي واني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا برهان . فاما المسيح سيد البشر ومحيي العالم فيتعالى ذكره

ويجل قدره ان تذكر دعوته في مثل هذا الموضع وانت عالم بالقصة كيف كانت وكفى بعلمك افرأيت اصلحك الله من استخار لنفسه في مثل عقلك وادبك ان تدعو مثلي مع شدة امتحاني الامور وتحصيلي لها الى مثل ما دعوتني اليه وخاصة وانا اتلو كلام سيدي يسوع المسيح ليلي ونهاري وهو شعاري ودثاري واسمعه يقول «تفضلوا على الناس جميعاً وكونوا رحماء كي تشبهوا اباكم الذي في السماء فانه يشرق شمسه على الابرار والفجار ويحدر مطره على الاخيار والاشرار» [1] فكيف يظن بمثلي والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة وقد ربيت في هذه النعمة ونجحت بهذه البركة وجرت في اعضائي وفي جسمي مع الدم دماً وفي عظامي مع المخ مخاً ونشأت في هذا النجاح والرحمة ونبت لحمي وشعري عليها فحاشا ان يقسو قلبي واتمرد متشيطناً حتى اصير في صورة ابليس العدو القاتل فاضرب واقتل ابناء جنسي وذرية آدم المجبول بيد الله وعلى صورته تعالى والله جلت قدرته هو القائل لست احب موت الخاطئ لانهُ اليوم في خطاياه وغداً يتوب فاقبله كالاب الرحوم سيما وقد شرف الله سبحانه وتعالى النوع الانساني بان كلمته الخالقة تجسدت منه واتحدت بهِ واعطته ما لها من الربوبية والالوهية والسلطان والقدرة فصارت الملائكة تسجد له وتقدس اسمه وتسبح ذكره كما يسبح اسم الله وذكره ولا تفرق في ذلك بينهما ثم زيد نعمة الى النعمة المتقدمة بان اعطي

---

[1] قابل متى اصحاح ٥

الجلوس عن يمين ذي العزة تشريفاً لذلك الجسد المأخوذ منا الذي هو من ذرية ابينا آدم فهو مثلنا واخونا في الطبيعة وخالقنا والهنا باتحاد الكلمة الخالقة بهِ بالحقيقة ثم دفع اليهِ تفضلاً منه عليه واكراماً له وانعاما جميع السلطان في السموات والارض وخوله تدبير الخلائق وصير البعث والنشور والدين اليه وان يحكم حكماً نافذاً جائزاً على الملائكة والانس والشياطين افتريد يا حبيب ان اضاد امر الله تبارك اسمه واضربهم بالسيف واسلبهم واسبيهم ان هذا لجور على الله عز وجل وعناد لامره وظلم لنعمته وجحد لمعرفته وكفران لاحسانه وقلة شكر لتفضله واعوذ بالله من خذلان الله وغضبه. فان قلت انه جل ذكره قد نراه يميتهم ويبليهم بالاسقام والاوجاع فما يمنعك من التشبه به فاجيبك اصلحك الله احضر جواب واصحه ليس كجوابك في الروح حيث سئلت عن امر الروح فكان جوابك انه من امر الله وهو جواب لم يسمع السامعون بمثله. اما نحن فنجيبك في هذا ونقول ان الله تبارك وتعالى انما يبتلي ويميت عباده لا لانه يريد الاضرار بهم او عن بغض منه لهم ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم فكيف وانما خلقهم جوداً منه وتفضلاً وانعاماً عليهم اذ نقلهم من العدم الى الوجود واصارهم من لا كون الى كون لينقلهم من هذه الدنيا التي هي زائلة غير باقية وفانية غير دائمة وناقصة غير تامة الى دار الخلود الباقيــة الدائمة الكاملة فلا يقال لمن نقل من مدينة خسيسة الى مدينة شريفة او من مدينة وضيعة الى مدينة رفيعة انه اراد بصاحبه سوءا

وتعدى عليه ظلماً بل هو محسن متفضل اولا وآخراً واما قولك انه ابلاهم بالاسقام المؤلمة والاوجاع المؤذية فجوابنا في هذا انه انما اراد بذلك ان نكون مستحقين الاجر والثواب وان يكون تبارك وتعالى مع تفضله عليهم ينالون ما ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم له فهو عز وجل متفضل عليهم في الحالتين جميعاً كالطبيب الماهر المشفق الذي يشفي المريض بالادوية المرة الطعم البشيعة الرائحة وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الاعضاء من اجسادهم بالحديد ويمنعهم شهواتهم من المطاعم والمشارب نظراً منه واشفاقاً عليهم افتقول انه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة بل انما يريد بذلك صلاحهم وصحة ابدانهم واتقاءهم من الاسقام والادواء المؤذية لهم ونقلهم من تلك الحال الكريهة التي هم فيها الى حال العافية وطيب العيش فان قلت قد كان يمكنه ان يتفضل عليهم ويأجرهم من غير ان يعذبهم بالاسقام والاوجاع قلنا لك وقد كان ايضاً يمكنه ألاَّ يخلق الدنيا وكان يخلق الآخرة والجنة ويدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق فهذا كان ممكناً في قدرته لكنه خطأ في التدبير لان المتعقب كان يتعقب فيقول لم يكن يمكنه ان يخلق الا خلقاً واحداً فخلق عز وجل هذه الدنيا وجعلها فانية دار محنة ومتجر لاوليائه وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها على ظعن كما ينزل بنو السبيل الخانات نزول مبيت لا نزول اقامة فينقلون منها الى دار الاقامة التي هي الغاية القصوى ليكون لهم فيها قرة الخلود هذا هو الصواب في

التدبير فخلقهم تبارك وتعالى جوداً منه وابلاهم بالاسقام والاوجاع ذخيرة لهم في زمان منقطع زائل وحياة مفارقة ليجزيهم ويأجرهم تفضلاً منه عليهم واستحقاقاً من ثوابهم واتماماً للنعمة عندهم في تلك الدار التي لا زوال فيها لحياتهم ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم. فان كان وصاحبك هذا يرحمك الله الذي ادعيت له ما ادعيت ودعوتنا الى اتباعه بما دعوتنا اليه انما يقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ويجليهم عن ديارهم يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه الى ما هو خير منه فقد لعمري نصح وتفضل واحسن وتشبه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه ولكنه ما فعل الذي فعله لهذا ولا خطر بباله ولا فكر فيه وما اراد الا نفع نفسه واصحابه واقامة دولته في العاجل والدليل على ذلك قوله «حتى يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون» افلا ترى ايها المميز انه لم يرد بما فعل ان ينقلهم مما هو عنده انه شرك وكفر الى ما زعم انه الدين القويم نظراً منه لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولكنه اراد بلوغ اربه وانفاذ مرامه وتوطيد سلطته كما يفعل المتغلب هذا وهو يقول في كتابه الذي يدعي انه منزل «قل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد» الا ترى اصلحك الله انه امر ان يقول ويبلغ بلسانه ونُهي عن القتل والسبي فامعن يرحمك الله في هذا الامر وميز هذا التناقض وافهمه. ثم اعجب من هذا تسميتك من قتل من اصحابك شهداء فهلم ننظر في اخبار الذين قتلوا من اصحاب المسيح

على عهد ملوك الفرس وغيرهم اهم كانوا مستحقين لاسم الشهادة ام اصحابك الذين يقتلون في طلب الدنيا والمحاربة على سلطانها فقد بلغنا كيف صبر اولئك وكيف كانت مسارعتهم الى بذل دمائهم ومهجهم ودماء اولادهم والخروج عن دنياهم ونعيمهم وكيف كانت نياتهم وصحة ضمائرهم وشدة يقينهم بما كانوا عليه من دياناتهم وكانوا يسارعون الى ان يقربوا اجسادهم الى الذبح والقتل وانواع العذاب قرباناً لله وقد كان يُقتل الواحد فيتنصر من ساعته في ذلك المكان المائة والاكثر والاقل فقتل في زمان من تلك الازمنة احد ملوك الروم المردة وقد لج في قتلهم مقتلة عظيمة فقال له بعض اصحابه ايها الملك انك انما تزيد فيهم من حيث تظن انك تنقص منهم فقال كيف ذلك فقيل له انك قتلت امس كذا وكذا فتنصر اضعاف هذا العدد فقال وما السبب في هذا فقيل له ان القوم يقولون ان رجلاً يطلع عليهم من السماء فيشجعهم فعند ذلك امر ان يرفع عنهم السيف وكان هذا القول داعياً الى تنصر الملك ورجوعه عما كان عليه من الكفر وقتل اولياء الله فانظر الى هؤلاء الذين كانت لهم البصائر بالديانة وشدة اليقين. الاخلاص وجودة الايمان كيف لم يفتر ايمانهم والسيوف تأخذهم وكانوا يعذبون بانواع العذاب وهم على ذلك محبون لما ينالهم غير ممتنعين فرحون مسرورون جذلون متيقنون انهم اذا اتوا ذلك فهم مقصرون عما في انفسهم من اداء حق النعمة التي اوتوها من الدخول في الديانة النصرانية فيبذلون اجسادهم اختياراً كما

بذلوها فنهم من سلخ وهو حي ومنهم من قطعت اعضاؤه وهو ينظر الى ذلك ومنهم من احرق بالنار ومنهم من القي للسباع و بعض نشر جسده بالمنشار وهذا دائم ثابت في من ينتحل دين النصرانية ليس يخلو في وقت من الاوقات من ان يبذل نفسه للموت طوعاً واختياراً ويرغب بها عن الحياة وعن جميع ما يحويه العالم ونحن نعلم وانت وجميع من يقول بالحق انه ليس في دين من الاديان احد يأتي بمثل هـذا الامر ويحمل نفسه عليه غير اهل هذه الشريعة اذ كان هؤلاء في العذاب الذي لا توصف شدته وهم في جميع ذلك على غاية التمسك بدياناتهم وفي غاية الفرح بمـا ابتلوا حتى سئل واحد منهم وهو يعذب عذاباً شديداً وهو في حاله تلك يتلفت يمنة ويسرة ويضحك فقيل له ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وانت في ذلك العذاب أما كنت تجد ألماً فاجاب ما كنت اجد ألماً فيما كنت اعذب به وقد كنت في تلفتي ارى رجلاً شاباً بالقرب مني وهو يضاحكني ويمسح الدماء التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه وكنت ارى ذلك العذاب كانه انما يقع بواحد من الذين يعذبونني فعلمنا انه كان صادقاً في قوله والاَّ فما صبره على تلك الشدة من العذاب وتعلم ان الله سبحانه وتعالى يصرف عنايته باهل طاعته ويصبرهم على الشـدائد فان قلت لو امر الله ذلك الملاك الذي وكله بتشجيعه ومسح الدماء من جروحه ان يصد عنه من كان متولياً تعذيبه فيكون سبباً لتوبتهم ورجوعهم قلت انت اصلحك الله تعلم ان الله جل

ثناؤه وتقدست اسماؤه لو شاء ان يجمع الناس كلهم على الايمان به ويجبرهم عليه لكان قادراً على ذلك غير انه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية ليثيبهم او يعاقبهم على ما اكتسبوا لانفسهم لا على الذي يجبرهم عليه هو ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله فلذلك اظهر على يد هؤلاء في ذلك الزمان آياته وبراهينه ليستكملوا قبول الدين وامسك عن الباقين ليظهر انهم مستطيعون ولو تابوا بذلك السبب لم يكن لهم في ذلك اجر لانهم انما تابوا قهراً وقسراً ولكنه تركهم حتى بلغوا ارادتهم ولم يغفل عن معونة اوليائه ليظهر استطاعة الحرية وثمرة العقل وجعل فكره في كيفية قبول الاولين لانه برهان واضح وحجة لازمة ويجب على كل ذي لب اليقين بانه لم ينتقل هؤلاء المختلفون في اجناسهم واهوائهم واديانهم الى هـذا الدين اذ خلا من الخصال كلها الا بالآيات المعجبة ومع هذا فان قوة اصل تلك الآيات قائمة باقية في اصل هذا الدين الى هـذه الغاية نعاين آثارهم بابصارنا ونسمعها بآذاننا ونبي منها بعقولنا من الجرائح التي تجري على ايدي اصحابهم ورهبانهم واحبارهم من دفع الجنون والتخيل وابراء انواع الامراض في الكنائس والديارات والبيع المبنية على اسم هؤلاء الشهداء الذين وصفنا احوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقـة مستحقون لاسم الشهادة فمنها ما فيها قبورهم ومنها ما فيها الجزء من عظامهم فتكون منها هذه النعمة في كل موضع من المشرق والمغرب وبلاد الروم وارض

الشام و بلاد فارس وارض الحبشة وجزائر البحر وامصار العراق و بلاد خراسان لا يخلو ذلك ممن يلوذ بهم و يلتجيء اليهم في هذا النحو وشبهه غير منكر لهم ذلك سوى بلاد صاحبك فانه من ذلك خلو صفر لانه لم يقع اليه من هؤلاء القوم ولا صار في ناحيته احد ممن يعبد هـذا الدين غير الرجلين اللذين تعرفهما سرجيوس المسمى نسطوريوس و يوحنـا المعروف ببحيرا ثم ليست هذه الفضيلة في شيء من الاديان ولا يدعيها احد من اهل المقالات خلا دين النصرانية فان ذلك لهم ورثة قائمة فيهم الى هـذه الغاية والى انقضاء الدنيا فاي دليل اوضح واي حجة اضوا وانور واسطع من هذه لطالب الحق. فهلم اكرمك الله ننظر في هذا الامر نظر نصفة و يقين واستقصاء ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله ينصح لنفسه و يعدل عن الهوى فمن هو اصلحك الله احق بان يسمى شهيداً و يشهد له انه قتل في سبيل الله امن قرب نفسه قرباناً عن ديانته وقد قيل له اسجد للقمر والشمس وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعته الايدي واتخذها ارباباً لك من دون الله واترك عبـادة الله وكلمته وروحه فابوا ذلك و بذلوا مهجتهم ودماءهم واموالهم وحياتهم واهاليهم واولادهم ام من خرج طالباً للسلب والسرقة والغنيمة وسبي الذراري ونكاح الفروج التي هي محرمة وشن الغارات ثم يسمي ذلك جهاداً في سبيل الله و يقول من قتل او قتل فهو في الجنة فانصف ايها الحبيب فانا رجلان تقدمنا اليك فحكمناك في الامر فاي حكم كنت

تحكم اذا انت آثرت الحق وترضيت العدل والنصفة فنقول ان لصاً نقب منزل رجل ليسرقه فسقط عليه حائط أو وقع في بئر او بادره صاحب البيت فضربه ضربة تلفت نفسه منها أتوجب لهذا اللص دية ما اظنك ايها القاضي تفعل ذلك فكيف توجب الجنة لمن مضى الى قوم آمنين مطمأنين في مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه فسرقهم ونهبهم وسباهم وقتلهم وفجر فيهم ثم لا يقنعك ذلك اذ فعلته وتعود الى ربك نادماً على ذنبك مستغفراً تائباً عما كان منك بل تقول انه ان قتل أو قتل فهو في الجنة وتسميه شهيداً في سبيل الله فان انت حكمت بهذا فما حكم الشيطان الذي هو عدو آدم وذريته قديماً الا دون حكمك على اني اعلم ان عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ولا يطلقانه لك وقد علمنا احاطك الله ما اشترطته لنا من الصبر على الحجة اذا وردت بك اذ لم تكن منا المسألة وانما كان الابتداء في المبالغة في الحجة منك فقبلنا ذلك من قولك وعلى كل حال فلم نكتب بما كتبنا به الا وقد قصرنا لانا لو كشفنا في هذا الفن من كلامنا لفعلنا كما فعل غيرنا وكلامنا هذا انما هو جواب اقتضاه ابتداؤك واذا عدلت في القول علمت ان الامر كالنار التي تسكن في الحجر والحديد فكلما استقدحتها بزنادك استعرت اضطراماً وقولي اكرمك الله لك في هذا ولغيرك ممن ينظر في كتابي هذا قول واحد .

فاما ما دعوتني اليه وعددته من الامور الزائلة الفانية التي هي كأحلام النائم والبرق الخلب الذي يضيء قليلاً و يذهب وشيكا ويبقى راجيه في

الظلام مقيماً لو كانت اشياء دائمة غير زائلة ولا بثة غير ذاهبة ثم باقية غير فانية ومقيمة غير منقطعة لما كان يجب على ذي رأي ولا على ذي لب ان يرغب فيها ولا يميل اليها فكيف وهي مشاركة الخنازير والكلاب والتشبه بالحمير وسائر البهائم التي انما همتها الاكل والشرب والنوم وانما هذه الدنيا كلها لا قدر لها ولا قيمة عند ذي عقل اذ يعلم ان الامر فيها اسرع واعجل من ان يبقى على شيء واوشك ان يفنى ويضمحل في اسرع وقت وانما يميل الى مثل هذه الاوضاع من قد غلب عليه الشره في اخلاقه وطباعه ولا اظنك اكرمك الله عرفتني بالراغب في هذا وشبهه فليت شعري كيف اردت ان تصيدني بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة التي انما يميل اليها ويغتر بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم فاما المميزون الذين قد نظروا في الامور فانهم ابرياء من مثل ما ذكرته وعددته بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد في ان يدفعوا آفات ابدانهم التي لا قوام لهم الا بها ولو تهيأ لهم دفعها في الطبائع او كان ممكناً لهم ذلك لدفعوها فكيف تريد ان يطلبوا الملك ويحتالوا الحيل بخلاف ذلك وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة فأنت تزعم في كتابك «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» ذاريات فلا اراك الا مناقضاً لقولك لانك قلت انما خلقت للعبادة ثم تقول فتنقض وتهدم بناءك المتداعي وتقول «انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ومن الاماء ما ملكت ايمانكم» وان نأكل ونشرب

مثل البهائم التي لا خطر عليها من ناموس عقل ولا الزام سنة الكتاب . فاما باب الطلاق والاستحلال والمراجعة الذي احله صاحبك فلولا كراهية التطويل لتلوت عليك مما قرع الله به اهله على لسان ارمياء النبي لكنك تعلم ما في هذا الامر من العيب والشناعة عند جميع الامم وسائر اهل الملل وكيف استقباحهم له وانكارهم اياه واني لا نهى نفسي عن سفه المخاطبة فيه وترديد الذكر له وارفع قدر كتابي عن ادخال شيء من ذكره آنفاً منه وتنزيهاً لكتابي فهذا الجواب فيه . واما قولك فاكتب آمناً مطمئناً لا فرق ولا خائف انك لا تظلم ولا يتعدى عليك فان سيدنا المسيح مخلص العالم حيث شجعني في انجيله المقدس واعلمني ما هو عتيد ان يكون قال «لا تخف ممن سلطانه على الجسد وليس له سلطان على النفس بل ينبغي لك ان تخاف ممن هو قادر ان يعذب الجسد والنفس معاً في جهنم[1]» فقد آمنت بقوله ان ليس لاحد على نفسي سلطان الا الذي خلق نفسي وخلق جسدي وقد زادني في ذلك اماناً ما بسط الله من عدل سيدي امير المؤمنين وانصافه ورأفته للضعيف الذي مثلي ممن يقرب من جوده ويعيش في ظل حمايته فانه قد شملنا عدله وعمنا انصافه ووسعتنا رحمته اثابه الله تعالى على ذلك واعطاه مأموله في نفسه وولده من امر دنياه واجاب صالح دعاي له بمنه .

واما قولك اصلحك الله ان هذا دينك القيم وهذه شريعتك وسنتك

---

(١) قابل متى ١٠:٢٨

ومن ينتحل نحلتك واني اذا دخلت فيه وشهدت مثل شهادتك كنت مثلك وحسبي بك شرفاً في الدنيا والآخرة فقد فهمت ذلك فاما دينك وشرائعه وسننه فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن اراد ان يمتحن ما ذكرته واما الشرف في الدنيا والآخرة فلعمري لقد اتاك الله في هذه الدنيا الخلافة التي جعلها في اهل دينك فنسأله تعالى ان يديم لك النعم ويبقي عليك ذلك ولا ينزعه عنكم يا اهل البيت واما شرف الآخرة فلا يعرف الا بالعمل الصالح وقد حكي عن صاحبك انه قال يا بني عبد مناف اني لست اغني عنكم شيئاً عند الله فلا تأتوني بالانساب ويأتيني غيركم بالاعمال فان خيركم عند الله اتقاكم فان كان قال هذا فقد هدر شرف الآخرة الا بالعمل الصالح ولم نجد اولياء الله الا القوم الذين لا حسب لهم ولا شرف في الدنيا وانما شرفهم في الآخرة العمل الصالح فانت وغيرك ان عملتم العمل الصالح كان لكم الشرف والنسب ولسنا نحب ان نفخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لآبائنا واجدادنا فقد علم كل ذي علم ولب كيف كانت ملوك كنده الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكننا نقول ما قاله رسول الحق بولس (١) ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانه غاية الفخر والشرف فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي الى العمل الصالح ونعرف

(١) قابل ١ كورنثوس ١:٣١

الله حق معرفته ونتقرب اليه وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم . فاما قولك بان نبيك يقول يوم القيامة اذ يكون كل مشغول بنفسه اهل بيتي اهل بيتي امتي امتي وما يجاب اليه من الشفاعة فنامت عينك يا خليلي وخيراً رأيت يا حبيبي ما هذه الا اضغاث احلام وخرافات العجائز ومواعيد النسيئة وآمال التدليس لاننا لا نشك ان سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي شهد له كتابك انه هو الوجيه في الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديان الخلق والخلائق يوم القيامة لا بد من ان يكافيء كل احد على عمله ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً ولا محاباة عنده ولا هوادة لاحد بل يحكم بالقسط ويقضي بالحق بين الخلائق في ذلك اليوم فانا لك من الناصحين فاقبل مني ولا تمل الى هذا الطمع الكاذب الغرار المبهرج وتدع ما يجب عليك من العمل الصالح ما دمت في هذه الدنيا مقيماً فتزوذ منها ما تنتفع به فلن ينفع في ذلك اليوم الا التقوى فدع عنك الميل الى احاديث الكسالى وعليك بالجد الجد فان الرحيل سريع والموت قريب والوقوف بين يدي المسيح الديان صحيح ولا بد من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا حجة ولا طلب ولا توبة يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فاتق الله في نفسك يا هذا واعلم ان تقوى الله خير تجارة تأتيك الارباح فيها بغير بضاعة فقد رأيت اجتهاد اولئك الرهبان كيف هو وكيف نصبوا اجسادهم لله وقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عز وجل في نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لك ولا علة

ان قبلت مني فاني لك من الناصحين. فاما ما ذكرت من التسهيلات في شرائعك وسننك وكيف يكون هذا الذي حكيت هيهات هيهات بئسما سولت لك نفسك والمسيح سيدنا يقول في انجيله المقدس حيث بالغ في الوصايا واكد وحتم «اذا فعلتم كل ما امرتم به واكملتم كل البر قولوا اننا عبيد بطالون انما عملنا ما امرنا بهِ فاي فضل لنا [١]» وهو السيد الذي قال «ما اضيق [٢] الطريق الذي يؤدي الى النجاة والخلاص وما اقل السالكين فيها والواردين اليها وما اوسع الباب الذي يدخل الى التهلكة وما اكثر السائرين اليه والداخلين منه» فهذا اكرمك الله خلاف ما تدعو انت اليه واشبه بامور الآخرة من تسهيلاتك العجيبة وابوابك الواسعة وقولك حبب الي الطيب والنساء. وانكحوا ما طاب لكم من النساء ونظائر هذه الوصايا والله المستعان على ما قد انشرح له قلبك وتصور في فهمك من هذا الامر الذي قد توهمت انك منهُ على صحة واستقامة ويعز عليّ كيف قد خفي عنك تدليسه وبهرجته فاسأل الله الذي يهدي من الضلال الى الرشاد ان يشرق عليك من نور المعرفة ما تهتدي به وتستضيء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التي انت منغمس فيها فان ذلك واجب عليّ ان ادعو لك خاصة وللناس جميعاً عامة اذ كان عندنا معشر النصارى ان صلاتنا لا تتم الا بالدعاء للناس كافة بالهدى للتائهين عن سبيل الحق ان يفتح الله على بصائرهم ويكشف كمة الغي عن

(١) قابل لوقا ١٧ : ١٠ (٢) قابل متى ٧ : ١٣ و ١٤

قلوبهم حتى يروا خطأ ما هم فيه ويرجعوا عنه الى طاعته وللمهتدين ان يثبتهم في ما انعم عليهم به فعل الله ذلك بك وبجميع اخواننا بحوله وقوته

اما قولك اصلحك الله دع ما انت عليه من الكفر والضلالة وقولك بالاب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع فاما الكفر والضلالة فقد كشفنا لك عن امرهما كشفاً يغني عن الاعادة واتينا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان ومن هو المقيم على الكفر ولا حاجة لنا الى اكثر من ذلك واما التخليط فكانك اصلحك الله كل ما لا تفهمه كان عندك تخليط كقول القائل ان الانسان عدو لما جهل واعوذ بالله من ذلك فليس الامر على ما توهمت فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها ما دام خصمك غائباً لانه ليس من فعل اهل التخرج والادب فان الذي وسمته بالتخليط واجترأت عليه بمثل هذا القول هو سر الله الذي كانت الملائكة المقربون والانبياء المرسلون يركضون في طلبه ويرغبون في معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى اسمه الخلق فلم تكن تعطى منه الا الشيء اليسير باللمح الخفي ولم تطلع منه الا على النذر بالرمز المستور حتى جاء الابن الحبيب السيد نازلاً من حضن ابيه فكشفه لاوليائه واهل طاعته فالهمهم معرفته ودفعه اليهم كاملاً مشروحاً مفسراً مبيناً فقال لهم مصرحاً «امضوا فادعوا الناس الى المعرفة الصحيحة الكاملة التي هي باسم الاب والابن والروح القدس[1]» فقبل ذلك الحواريون

(١) قابل متى ٢٨: ١٩ و٢٠.

من فيه الطاهر فادوه الينا معشر المؤمنين بالمسيح فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ونحن مقيمون عليه بفضله ونعمته الى انقضاء العالم . واما قولك عبادة الصليب التي تضر ولا تنفع لما رأيت من تعظيمنا اياه وتقبيلنا له وتبركنا به فنجيبك عنه قائلين انا نفعل ذلك للذي مثل لنا فيه من امر المسيح وما جرى به تدبيره في خلاصنا واستنقاذنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه والموت لاجلنا فان النعمة عندنا في ذلك مما لا يبلغه منا وصف ولا يفي به شكر والصليب ممثل هذه النعمة نصب اعيننا يحثنا على شكر موليها والمنعم بها واليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا الى الخشب وغيره مما تصنع منه الصلبان ولو كنا نعظم الخشب كما توهمت لما اتخذنا الصليب من غيره ولكنا نتخذه من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها ونخطه خطاً ونرسمه بايماننا وذلك دليل على اننا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تتخذ منها الصلبان بل من هو ممثل بالصليب وكما انه من السنة تعظيم كل شيء من امر الملك وما نسب اليه وخاصة الممثل فيها شخصه فان السنة جارية فيها على وجه الدهر بان نتحفها بالسجود تعظيما للملك وما مثل فيها من امره فكذلك نوجب نحن تعظيم الصليب وتكرمته واستلامه اذ كان ممثلاً لنا امر المسيح سيدنا وملكنا وجسيم نعمته عندنا لما صلب دوننا ثم ان الناس في هذا الدهر ايضاً على بقية من هذه السنة فانهم يقبلون ايدي ملوكهم واقدامهم وكتبهم اعظاماً لهم فيحظون بذلك عندهم ويرونه لهم من انفسهم براً ورشداً فكيف الآن تنكر علينا تعظيم

الصليب واستلامه ومحله عندنا المحل الذي وصفنا واننا نجد في الكتب المنزلة من عند الله ان الانبياء كانوا يعظمون التابوت الذي عمله موسى بامر الله تبارك اسمه و يسجدون بين يديه وكان موسى كلما حمل التابوت يقول « قم يارب ولينهزمن شانئوك » واذا وضع يقول « عد يارب الى الالوف وعشرات الالوف من بني اسرائيل» ومما حدث يشوع ابن نون عن بني اسرائيل انهم خروا سجداً بين يدي التابوت معظمين له عائذين به مما نالهم وداود النبي حين نقل التابوت الى اورشليم عظمه غاية التعظيم واتحفه بالذبائح والقرابين وشيعه بالتسبيح والتهليل وافتتح ذلك بمثل مقالة موسى النبي فقال «ليقم الله ولتتبدد جميع اعدائه ويهرب شانئوه من بين يديه» وكان فعلهم هذا بالتابوت تعظيما لله لا للخشب وغيره فنحن على هذه السنة ايضاً في تعظيم الصليب ونجري فيها على ما جرى عليه الانبياء الابرار فلم اصلحك الله غلب عليك النسيان في هذا الموضع كانك جاءتك حمية الاسلام وحرضتك العصبية الهاشمية فازاغتك عن سبيل الحق وحادت بك الى خلاف ذلك السبب الذي انت اقررت به بفيك ولفظ به لسانك مما جربت من القوة الحالة في الصليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدابة وحين هربت ممن هربت منه وحين لقيت الذي لقيت في طريقك وانت ماض الى عمر الكرخ وحين تلقاك الاسد وقاربت ساباط المدائن افتراك اصلحك الله نسيت هذه المواقف فان كنت انت نسيتها فنحن ذاكرون لها فلم اصلحك الله تكفر

بالنعمة وتكافي بالشر وتقل من الشكر وتنكر المعروف وليس هذا مذهب من هو مثلك من اهل التخرج والتمسك بالصدق ولم قلت ان عبادة الصليب تضر ولا تنفع فليت شعري اي ضرر نالك عند تعوذك بالصليب وانت تعلم انا معشر النصارى لا نعبد الصليب وانما نعبد القوة الحالة في الصليب والتأييد الذي ايدنا به والخلاص الذي اوتيناه بسببه ألم يجر بيننا من الكلام والمحاجة بحضرة من جرى ما قد اقنعك وتعلم كيف كان الحكم عليك في ذلك المجلس فلم رجعت عما كان صح عندك واقررت بصوابه حتى ذكرت انك امتحنت ذلك فوجدته صحيحاً أو كان ذلك من الحكم الذي جرى عليك ممن قد علمته ام انما اردت مدافعة ذلك الوقت على اني ارجو ان لا يكون هذا القول منك في الصليب اعتقاداً ولا ابطالا للفضيلة التي رأيتها حالة فيه

واما قولك انك اشفقت عليّ من النار ورضيت لي ما رضيته لنفسك فهذا القول يجب شكرك على ظاهره واذا عكست قولي لك فيه وجب شكري عليك في باطنه فميز اعزك الله هذا الموضع وافهمه فانه اصلح في البدء والعاقبة وما شرط الكلام الذي لا نفع فيه ولا خير وكيف اقول وانت تسأل وتتضرع الى الله كل يوم في صلواتك الخمس قائلاً «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فان كنت يرحمك الله مهتدياً فقد استغنيت عن المسألة والتضرع في كل وقت وعند فاتحة كل صلاة ان يهديك اذ لا معنى

لطلبك الهداية وانت مستغن عنها وان كنت لم تهتد بعد وكنت طالب الهداية فاعلمني اكرمك الله من هم هؤلاء المنعم عليهم الذين تسأل ربك تبارك اسمه ليلاً ونهاراً ان يهديك الى صراطهم ويلحقك بهم وانت تدعي انكم «خير امة اخرجت للناس» وان الدين عند الله الدين الذي رضيته انت لنفسك وانه لم يقبل غيره من الاديان والنحل اهم المجوس عبدة الشمس والنار ذوو الشرائع النجسة التي تبيح نكاح الامهات والاخوات والبنات وما شا كل ذلك من السنن الدنسة التي تأنفها النفوس وتستشنعها العقول وتنفر منها الطبائع فانت تعلم وكل ذي خبرة ايضاً ان هؤلاء لم ينعم عليهم بالمعرفة التامة اذ هم لا يوحدون بل يشركون مع الله سبحانه وتعالى معبودهم ابليس فليست المجوس اذن المنعم عليهم فاخبرني هل هم اليهود الذين تبرأ صاحبك منهم وقال كتابك فيهم انهم هم المغضوب عليهم المرذولون المشتتون بين الامم الملقى عليهم الذل والمسكنة منهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كل نبي ورسول فليست اليهود اذن المنعم عليهم الذين تسأل ان تهدى الى صراطهم وما صراطهم بمستقيم وان قلت عبدة اللات والعزى ويغوث ويعوق وكثرى وشمس وجهار وهبل ونسر وسواع وود واساف ونائلة وذي الكفين ومناة وسعد وذي الخلصة وسائر الاصنام التي كانت العرب تعبدها بمكة وتهامة فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك من قرب قائلاً «ووجدك ضالاً فهدى» فالضالون اذن هم عبدة

الاوثان اذ قال وجدك ضالاً فهدى لان صاحبك لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً وانما كان حنيفاً يعبد اساف ونائلة الصنمين اللذين كانت قريش تعبدهما والاحابيش فلما من الله عليه بمعرفة التوحيد بالسبب الذي ذكرناه سالفاً سأل ربه ان يعيذه من صراط الضالين الذين هم عبدة الاصنام فان ادعيت وقلت ان صراط لدهرية والجرهانية والسماتية والبراهمة وغيرهم ممن اشبههم في المقالة واعتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم وهم المنعم عليهم قلنا لك هذه المقالات انت تعلم وكل ذي عقل وعلم ان صاحبك لم يسمع بها قط ولا عرفها ولا حضر المجالس التي يجاوب فيها عنها بل تعوذ منهم ومن صراطهم واذ قد تعوذت من صراط المجوس وصراط اليهود المغضوب عليهم وصراط عبدة الاصنام الذين هم الضالون ولم يخطر ببالك صراط الدهرية والجرهانية والسماتية والبراهمة فما بقي الا صراط المنعم عليهم الذين هم النصارى وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين المنعم بالمعرفة الكاملة بالله وكلمته وروحه عز وجل وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية وما قلت اصلحك الله شيئاً لا تفهمه وانما ذكرتك ما تعلمه والا فهل تقدر ان تجحدنا حقنا هذا الذي في ايدينا ولنا من النعمة التي اوتيناها وهو نور الانجيل وهدايته ما اقر لنا به صاحبك في كتابه ولم ينكره وجميع الاديان والامم مقرون مذعنون لنا به لا يتهيأ لهم دفعه ولا يمكنهم ابطاله فامعن يرحمك الله النظر في هذا الفصل من كتابنا وردد فكرك فيه كفعل

من يريد نصح نفسه لا كفعل من يريد غشها فان النصيحة واجبة على الناس جميعاً وهي على المرء لنفسه خاصة حق والحق حق يتبع فلا ينبغي ان تبخس الحق حقه ارشدك الله الى الخير وهداك الى الصراط المستقيم بحوله وقوته

واما قولك يرحمك الله ان اكتب بما عندي من امر ديني والذي صح في يدي منه آمناً مطمئناً لتبصر فيه وتجمعه الى ما في يدك فما اولاك بذلك اصلحك الله وما اجدرك بفعله لان الحجة عليك اوجب منها على غيرك لما قد فضلك الله به من العقل والتمييز ولما عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات والحق اهم ان تفضله ذوو العقول على الامور كلها لجلالة مرتبته لانه ميزان الله سبحانه ودستوره ونحن نسأله تعالى ان يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفسك لتنظر في ما يمليه علينا الروح القدس نظراً ينفعك الله به في العاجل والآجل كما نسأله عز وجل ان يفعل ذلك ايضاً بكل من ينظر في كتابنا هذا بمنه وكرمه .

فلنبدأ الآن بتطهير قلوبنا واسماعنا وتقديس السنتنا بالاخبار عن اسباب البشارة الطاهرة المقدسة ونصدر بعض شهادات الانبياء الذين استودعهم الله سره وكلمهم بوحيه وامرهم بان يخبروا الناس بما هو مزمع عليه في سابق علمه من اكمال نعمه عندهم واتمام تفضله عليهم ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة فاتخذ منهم جسداً (١) بشرياً وصار انساناً

(١) انظر يوحنا ١ : ١٤ :

يجب له بذلك المجد والسجود والطاعة من الملائكة والانس والشياطين والاذعان بالربوبية المتحدة به والالوهية الحالة فيه وليعلم الناس مخاطبته اياهم شفاهياً مصرحاً انه الله الواحد المثلث الاقانيم آب وابن وروح قدس اله واحد تام فيستكملوا النعمة بالمعرفة فيكون جل وعز قد اتم جوده عليهم واحسانه اليهم بتعريفهم سره المخزون وتكون حجته بالغة عليهم وتنقطع حجة المتعنت ويضمحل قول القائل انه لم يؤت المعرفة وان الامر كان مستوراً عنه محجوباً دونه مرموزاً لا يفهمه فحينئذ لا عذر لمن جحد الحق ولا علة لمن عانده كما قال بولس رسول المسيح «لينسد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله[١]» وقال الله تبارك وتعالى على لسان موسى في التوراة في السفر الاول الذي هو سفر الخليقة ان يعقوب المعروف باسرائيل الله لما قربت وفاته دعا اولاده كلهم فباركهم واخبرهم بما هو مزمع ان يكون في آخر الزمان واودعهم هذا السر ولم يزل يبارك واحداً فواحداً حتى انتهى الى يهوذا الذي من نسله ولدت المغبوطة مريم ام المسيح مخلص العالم فقال «يهوذا لك تخضع اخوتك يدك على اكتاف اعدائك. يسجد لك بنو ابيك. شبل ليث يهوذا. من فريسة صعدت يا بني. جثا وربض كاسد وكلبوة من ينهضه. لا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجيء الملك واياه تنتظر الشعوب[٢]»

فانظر اعزك الله في هذا الكلام نظراً روحانياً مستقصياً بعين العدل

---

(١) انظر رومية ٣:١٩ (٢) انظر تك ٤٩:١٠—١٨

والانصاف وتفهمه فان من لم يفهمه لم ينتفع به هل تليق هذه النبوة من ذلك الشيخ المبارك اسرائيل الله وصفيه الا على المسيح مخلص العالم لانه هو الخارج من يهوذا بانسانيته وله خضع بنو اسرائيل لما دخلوا في دعوته وصارت يد الروم التي هي يده على اكتاف من عاداه من بني اسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا به فقتلتهم الروم ومزقتهم كل ممزق فلا تقوم لهم قائمة ابداً ولا يزالون اذلاء الى الانقضاء وزوال الدنيا وهو الذي بعث من بين الاموات حياً بعد ثلثة ايام من صلبه وهو الذي سجد له بنو اسرائيل حيث رأوا الاعاجيب والآيات التي اظهرها بين ايديهم وهو شبل الليث لانه ابن الله القوي العزيز الجبار. لم تزل النبوة تترادف في بني اسرائيل حتى جاء المسيح رجاء البشر الذي انبأت عنه النبوات كلها التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشر بطلوعه فلما جاء المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا وبني اسرائيل فلم يقم نبي بعد مجيئه واياه. كانت تنتظر الشعوب وله كانت ترتجي الامم وكما انه لا معنى لمجيء الرسل بعد طلوع الملك عليهم كذلك لا معنى للانبياء بعد ظهور الاله المسيح الذي هو بالحقيقة ملك كما سبقت الانبياء وسمته ملكاً وتنبأ زكرياء النبي هاتفاً بصوته عن الروح القدس على كلمة الله تبارك وتعالى فقال «افرحي[١] يا بنت صهيون واهتفي يابنت اورشليم هوذا ملكك يأتيك باراً ومخلصاً ومتواضعاً وراكباً حماراً وعلى

(١) قابل زكريا ٩:٩ و١٠

جحش اتان فتهلل لمجيئه المراكب من افرام والخيول من اورشليم ويكسر قسي القتال ويخاطب الشعوب بالسلام والامان» فهل اصلحك الله تصدق هذه النبوة الا على المسيح انه جاء بالبر والخلاص والتواضع ثم اباد بمجيئه من بيت المقدس واورشليم التي هي صهيون جميع ما كان فيهما من المراكب والخيل المعدة للحرب وانكسرت القسي التي هي من آلات القتال ودالة عليه وركب جحشاً ابن اتان تواضعاً وكلم الامم الذين هم الشعوب بالسلم والامان وادخلهم في ميراث دعوته وجعلهم ابناء ملكوت السماء الذي هو موعد الله تبارك اسمه . وهذا داود النبي وهو لسان الله يقول مصرحاً «الرب[1] قال لي انت ابني انا اليوم ولدتك . اسألني فاعطيك الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك» اي انهم مزمعون ان يدخلوا في دعوته وطاعته وان سلطانه يمتد الى اقاصي الارض وقال ايضاً «يا ايها[2] الملوك افهموا ويا حكام الارض اعلموا اعبدوا الرب بخشية وسبحوه برعدة واقبلوا الابن لئلا يغضب فتهلكوا بسخطه لانه عما قليل يستشيط غضباً طوبى للمتوكلين عليه» معنى ذلك اقبلوا ما يأتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه فانكم ان لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه لانه بعد قليل يشتد غضبه على اليهود الجاحدين لربوبيته الذين لم يقبلوا منه ما قال فهلكوا و بدد شملهم وطوبى للمتوكلين عليه اي المؤمنين به والمصدقين لقوله وقال ايضاً

(١) انظر مز ٢: ٧ و٨ (٢) انظر عدد ١٠—١٢

«قال[1] الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك لان الرب يبعث عصا العز من صهيون و يسلطك على اعدائك» فافهم افهمك الله كل خير قول النبي داود هذا فان فيه سراً يحتاج الى معرفته كل ناظر في كتابنا هذا ليصح عنده الامر . . . . فاقول ان عادة العبرانيين منذ عهد موسى نجي الله ان الاحرف التي يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى احرف منفردة لا يكتبون بها شيئاً غير ذلك وهكذا كانت هـذه الاحرف في اللوحين اللذين دفعهما الله تبارك اسمه الى موسى النبي فى قول داود عن الله عز وجل قال الرب لربي هما اسمان مكتوبان بالاحرف التي تسمى المنفردة التي لا يكتب بهـا الا اسم الله تبارك وتعالى فهذا عند اليهود والنصارى وهما امتان متعاديتان لا اختلاف بينهما فيه ولا شك وذلك عن غير تواطوء فافهم هذا السر الذي اوعزه الله تبارك وتعالى الى نبيه فانك اذا وقفت الفكر فيـه وجدته تصريحاً لقوله قال الرب لربي وقال في موضع آخر «الرب[2] اشرف من علو قدسه الرب من السماء ظهر على الارض ليسمع انين الاسرى و يطلق المربوط من الموت» ومعناه موت الخطيئة الذي هو عبادة الاصنام وانقطاع الرجاء من موعد الحيوة الدائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا انه يعطينا اياها يوم القيامة قال «ليدارسوا في صهيون اسم الرب و بتسبيحه في اورشليم عندما تجتمع الامم والملوك معاً لعبادة الرب» فقد كملت نبوة

---

(١) انظر ص ١١٠ (٢) قابل مز ١٠٢ : ١٩ — ٢٢

داود وهـــذه اورشليم تجتمع فيها الامم ويدارسون اسم الرب اي اسم الآب والابن والروح القـدس الذي هو اسم الرب المخزون ويمجدونه بانواع التماجيد واصناف التسابيح بالالسن المختلفة واللغات الغريبة اناء الليل والنهـار لا يملون ولا يفترون ولا ينقصون ما يجب عليهـم من حق عبادته بقصدهم اياها من البلدان الشاسعة وجميع اقطار الارض البعيدة فمن عاند هذا يا خليلي فما هو عند اهل الحق الا جاحد كافر قد اعماه الجهل وطمس على قلبه الحسد وهذا اشعياء المغبوط قد تنبأ وصرخ باعلى صوته قائلاً «قال الله تبـارك وتعالى تقوي [١] ايتها الايدي الضعيفة ويا ايتها الركب المرتعشة تثبتي وقل لضعفاء القلوب تقووا ولا تخافوا فان الحكم يجيء الهاً مخلصاً فيخلصكم هنالك تنفتح اعين العميان وآذان الصم تسمع ويقفز المقعد في ذلك اليوم كالايل ولسان البكيم يتكلم» وانت ارشدك الله الحق تعلم ان كتابك يشهد بان المسيح الاله قد فعل هذا كله وانه ابرأ المقعد الذي كانت قد اتت عليه ثمان وثلثون سنة فقال له «قم [٢] احمل سريرك واذهب الى بيتك» فقام عاجلاً ومضى وهو الذي ابرأ ذلك الابرص والاخرس الابكم المعتوه المشروح خبره في الانجيل الصادق وما جرى من قول اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا برءه وخروجه سليماً من جميع العاهات التي كانت به وتقريع سيدنا اياهم ودحضه حجتهـم وقال اشعياء النبي ايضاً في موضع

(١) انظر اش ٣٥:٣—٦ (٢) قابل متى ٩:٦

آخر مشيراً الى مولد المسيح «اسمعوا [١] يا بيت داود الرب يعطي علامة لشعبه هوذا العذرآء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» تفسيره الهنا معنا فاي شيءٍ يكون اكثر توضيحاً من هذا فهذه بعض النبوات التي تنبأ بها الانبياء على مجيء السيد المسيح محيي العالم وكنا نريد ان نزيد من الشهادات ولكنا كرهنا ان نطول كتابنا فيمله القاري وفي ما اتيناه كفاية لمن لا يعاند الحق ويظلم نفسه وكاني بك اصلحك الله قد ذكرت التحريف في هذا الموضع واحتججت علينا باننا حرفنا الكلم عن مواضعه و بدلنا الكتاب وكأن هذا القول جعلته كفها لك تستتر به واني لاخبرك خبراً حقاً فاسمعه مني وعه واقبله فان قولي ليس قول باغ ولا حاسد ولا متعنت معاند بل انما هو نذر مني لك ونصح اذ كان ديني يوجب عليَّ نصيحة كل احد فانا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهل وصرعته وخيمة وما اعلم اني سمعت قط بحجة اشد انقطاعاً واوحش انفساخاً من حجتكم في باب التحريف والتبديل واني لاعجب منك ومن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحق وكان له ذهن صحيح يميز به كيف يجوز مثل هذا عليه وانت تعلم اننا نحن واليهود الاعدآء الكفرة الجاحدين لما جاء به نور العالم وضياء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب وانه منزل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه زيادة ولا نقصان. والا فنحن ندعوك الى واحدة

[١] انظر اش ١٤:٧

هي نصفة لنا ولك إاتنا اصلحك الله انت ايها المدعي علينا التحريف والتبديل ان كنت صادقاً بكتاب غير محرف ولا مبدل يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدت الاعاجيب للانبياء والحواريين حيث جاؤنا بصحة هذا الكتاب فقبلنا ذلك منهم وهو في ايدينا وايدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان واني لاعلم انك لا تقدر على ذلك ابداً حتى نأخذه منك ايضاً كيف وكتابك يشهد بصحة ما في ايدينا شهادة قاطعة اذ يقول «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» (يونس ثم فسر هذا القول واكده معترفاً لنا بالفضيلة التي اوتيناها قائلاً «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون» (بقرة) فافهم يرحمك الله كيف قال وشهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا وقد امر ان نسأل ويقبل منا كل ما نقوله فكيف تدعي وتقول انه قد وقع منا التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه فهل هذا الا حكمان متناقضان يتبين لكل احد السبب فيهما اذ كنت تشهد لنا بحق التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذب نفسك وتقول بالتحريف والتبديل فبهذا غاية المحال والشناعة فاذا كنت لا تقدر انت ولا غيرك ان تأتي بمثل الشريطة التي شرطناها وهو ممتنع من امكانك فمالك والمباهتة التي ليست من عادتك ولا من اخلاقك وتشنع علينا وتقول انا حرفنا الكتاب و بدلنا تنزيل الله وغيرنا

كلامه ونحن نتلوه حق تلاوته كما شهد لنا صاحبك فانصف اصلحك الله واطلب رضى ربك كما يجب على ذوي العقول.وانظر من هو المحرف والمبدل انحن الذين اخذنا الكتاب عن قوم جاؤا به على صحته بالآيات والعجائب الالهية الخارجة عن امكان طبائع الادميين واتفقت عليه الامم المختلفة الالسن والاهواء والديانات والبلدان البعيدة الذين لا يمكن ان يقع بينهم في مثله تواطؤ بحيلة من الحيل ام الذي قبل كتاباً بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ولا ذكر ولا اعجوبة تشهد له وانما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان اهل بلده فقط فجعل ذلك برهاناً له وزعم ان الكتاب الذي هذه حاله وقصته يجري مجرى فلق البحر واحياء الموتى وابراء الكمه والبرص واقامة المقعدين واخذه لذلك الكتاب عن قوم كانت بينهم الاحن والضغائن وكل منهم زاد فيه ونقص و بدل وغير واجترأ حتى ان نسبه الى الله تعالى وزعم انه دليل على نبوة نبيه وانه شاهد عدل له بانه رسول رب العزة ثم لم يرض بهذا بل تعداه وقال من لا يقبل كتابي هذا ويقول انه منزل من عند الله واني نبي مرسل قتلته وسلبته ماله وسبيت ذراريه واستبحت حريمه فقبل ذلك منه كرهاً وخوفاً وفرقا لما توعد به من البلاء والشقاء بلا حجة ولا برهان فاجعل اصلحك الله عقلك هو الناظر والحاكم في هذا والمميز له وانظر الى ما يؤديك فالزمه واعتقده فاني واثق بعقلك انه يخلص لك ولا يغشك لان الله

تبارك وتعالى اسمه انما جعل العقل ميزان العدل فاستعمل ما فضلك الله به فانك ان بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى

فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من ذكر البشارة الطاهرة فنقول انه قد صح عند ذوي العقول الاصلية اهل البحث والتدقيق وتقرر عندهم بالقياسات والاجماع عن غير تواطؤ ان النبوات التي اودعتها الانبياء كتبهم عن الله جل وعز قد تمت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى فلننظر الآن في الآيات التي جاء بها المسيح سيدنا الدالة على سلطان الوهيته وقدرة ربو بيته فنقول ان اول ذلك ومبتداه ان الله الرحيم المتفضل على خلقه اختار من جنس آدم الذي خلقه بيده وشرفه بصورته وفضله بشبهه على الخلائق كلها جارية عذراء زكية طاهرة مقدسة نقية لا عيب فيها لا في نفسها ولا في بدنها ليحل فيها كلمته وروحه ويأخذ منها جسداً بشرياً تاماً فيتحد به ويخاطبنا وجعل المبشر لها جبرائيل رئيس الملائكة ائتمنه على هذه البشارة وفضله على سائر اجناد السماء واحله اشرف المنازل ببعثه اياه رسولاً الى خيرته من ذرية آدم سيدة نساء العالمين مريم المغبوطة بنت يواكيم والدة ربنا يسوع المسيح الاله المخلص فجاءها مبشراً من عند الله مكرماً ومهنئاً فخاطبها قائلاً «السلام[1] عليك ايتها الممتلئة نعمة سيدنا معك» ولم يقل «سيدي» بل جمع اجناد الملائكة كلها بقوله «سيدنا» فمن سيد الناس والملائكة جميعاً الا كلمة الله الازلية

[1] قابل لوقا ١:٢٨--٣٦

التي خلقت السموات والارض كما قال داود فافهم يرحمك الله هـذا السر المخزون في كتب الله ودع عنك عماء الجهل والعصبية انار الله عقلك وخلصك من ظلمات الضلال ثم قال جبرائيل في اثر ذلك القول «انك تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمه يسوع» الذي تفسيره المخلص «هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه ويكون ملكه على آل يعقوب الى الابد ولا يكون له انقضاء» فلما خاطبها جبرائيل بهذا تعجبت من قوله فردت عليه قائلة «من اين يكون لي هذا ولم يباشرني رجل» فاجابها جبرائيل قائلاً : الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ولذلك يكون الذي يولد منك قدوساً وابن العلي يدعى» ثم اعقب قوله ذلك باعطائها الدليل لتزداد يقيناً ولا ترتاب ولا يكون للشك عندها موضع بقوله ثانية «وهوذا اليصابات قريبتك قد حبلت بابن على كبر سنها وهذا هو الشهر السادس من حبل تلك التي كانت عاقراً» فهـذه اعجوبة البشارة التي لا تكون ولا يليق مثلها الا بهذا السيد المخلص . فاصغ الآن لشهادة المخالف التي تؤكد الحجة عليه اذ يقول صاحبك طائعاً مقراً «واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . . . . . يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب انى

يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولاً الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون» (آل عمران) فهذا قول صاحبك وشهادته واقراره بالحق مذعناً ومصدقاً فهل تعلم اصلحك الله او تذكر في ما قرأته من كتب المخالفين احداً كان له في ابتداء امره من البشارة مثل ما قصصنا عليك عن الله عز وجل في الانجيل الطاهر المقدس وعن كتابك الذي تدعي انت بصحته وتقر بعدالته وشهادته ثم ان مريم[١] الطاهرة المباركة صارت الى ام يحيي بن زكريا وقد كانت هي وزوجها بارين تقيين عندما حبلت بيوحنا فلما قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنة الجارية عندهم اضطرب الجنين في احشائها فرحاً وهتفت امه بصوت عال قائلة «من اين لي هذا ان تأتي ام ربي الي . منذ وقع صوت سلامك في اذني اضطرب الجنين في بطني ساجداً فرحاً» ومن قول صاحبك في زكريا «هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من

(١) قابل لوقا ١: ٣٩—٤٤

لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب. ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين» (آل عمران) فعنى بذلك المسيح كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه السلام فان «مصدقاً» صفة ليوحنا ولكن «كلمة الله وسيداً» ليست بصفة ليوحنا لانه لم يؤمن بيوحنا انه كلمة الله ولا كان سيداً فاما حصوراً ونبياً ومن الصالحين فمن صفات يوحنا لانه كان نبياً وحصوراً ومن الصالحين فانت اصلحك الله ان لم تعسف الكلام وتحيله عن حقه علمت علماً حقاً ان هذا معناه. ثم انه ظهر للمجوس في بلاد فارس الكوكب الدال على ميلاد الملك العظيم الذي لا زوال لملكه وان له الملك بالحقيقة وكان علماؤهم قد سبقوا فاخبروهم بخبره في الكتب وعرفوهم وقت ظهوره واعطوهم الدليل على ذلك والعلامة ظهور كوكب يتقدمهم في المسير اليه وقضاء بعض حق عبادته بالسجود له والخضوع لطاعته فلم يزل المجوس ينتظرون ذلك ويتوقعونه راجين ومؤملين حتى جاء الوقت وظهر الكوكب[١] الذي هو الدليل على ميلاد السيد العظيم فجاءوا من بلاد فارس الى بيت المقدس الذي هو ارض اليهودية بهداية الكوكب حتى وقف ببيت لحم فقضوا الغرض وادوا حق الطاعة ورأوا ما كانوا يؤملونه وادركوا ما كانوا يرجونه وانصرفوا مؤمنين غير شاكين ولا مرتابين بل فرحين مسرورين لما اهلوا له . ثم

---

(١) انظر متى ٢: ١ — ١٢

ظهر ملك[١] من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة كانوا يرعون اغنامهم فقال لهم عندما اشرق عليهم نور البشارة بميلاد السيد ها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لكم وللناس كافة انه قد ولد لكم مخلص يعني لاولاد آدم جميعاً وهو السيد المسيح والدليل لكم انكم اذا صرتم الى الموضع تجدون صبياً ملفوفاً في اطمار موضوعاً في مذود فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم اجناد الملائكة مع ذلك الملك وهي تطير ما بين السماء والارض بتهليل وترتيل وتهتف جميعاً بصوت عال وتسبح وتقول «المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة والامن والرجاء الصالح للناس كافة» ثم اقبل الرعاة الى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا المولود ملفوفاً في اطمار موضوعاً في مذود على ما اخبرهم به الملك فصدقوا وآمنوا واخبروا بخبرهم وما عاينوه من اجناد الملائكة وما سمعوه من التسبيح العجيب وقصوا قصة مجيئهم فتعجب من ذلك كل من سمع . فهذه اصلحك الله قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من القول. فلنخبر الآن ملخصاً كيف كان ابتداء الدعوة فنقول لما اتت على سيدنا يسوع المسيح ثلثون سنة وظهر يحيي بن زكريا بتلك المعمودية بماء نهر الاردن التي للتوبة صار اليه المسيح ليصطبغ منه. فلما رآه يحيي قال «هذا[٢] حمل الله الحامل خطايا العالم» ثم قال «يا سيدي انا محتاج ان اطهر منك وانت

---

(١) انظر لوقا ٢:٨—٢٠ (٢) انظر متى ٣:١—١٧ ولوقا ٣: ٢١—٢٢

صرت الي لتتطهر مني» فاجابه يسوع قائلاً «دع الآن لانه هكذا يجب علينا ان نكمل كل البر» ثم لم يزل مجتهداً حتى عمده فلما صعد المسيح من الماء انفتحت ابواب السماء ظاهراً مكشوفاً تجاه العالمين الذين كانوا هناك فرأوا الروح القدس قد حل عليه في صورة حمامة واذا بهاتف يهتف من السماء بصوت عال قائلاً «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» فتعجب لذلك يحيى بن زكرياء وجميع من حضر. ثم ابتدأ في اظهار دعوة الناس بعد ذلك الى اليوم الذي طلع فيه الى السماء وحثهم على التوبة ورفض الدنيا والزهد فيها وترك الاهل والولد والاموال واللحوق به والترغيب في اعمال البر والكف عن المآثم والتحبيب لاصطناع المعروف الى كل احد وترك الضغائن والحسد والطلب بالطوائل والاخذ بالثار وترك المكافأة عن الاساءة والصفح عنها والتفضل على كل احد بما هو حسن واعلمهم ان هذا يقربهم الى الله تبارك اسمه وحثهم على فعل ذلك ليستحقوا به جزيل الثواب وعظيم الاجر في دار المآب التي لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعيمها وانذرهم بالبعث والنشور والقيام بعد الموت للحساب والثواب والعقاب فمن عمل صالحاً فله ثواب ذلك في ملكوت السماء ومن عمل شراً فعليه العقاب في نار جهنم خالداً فيها ابداً وحقق قوله بعمله الاعاجيب وصدق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة والعلامات الباهرة والدلائل الواضحة التي لا يمكن المخلوقين ان يأتوا بمثلها وذلك بغاية الرفق والتواضع والخشوع ومجانبة الفخر والبذخ اللذين هما من فعل

الشيطان واشباهه واظهار الرحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة و بذله كل ما سئل او طلب منه لا يطلب على ذلك من احد اجراً ولا شكراً الا تمجيد الله وتحميده والتصديق بان الله جل وعز قد انجز وعده الذي وعد على السن انبيائه واكمل جوده وتفضله على آدم وذريته اذ بعث اليهم كلمته متجسداً منهم وانقذهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت وعرفهم نفسه انه اله واحد ذو ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس فكان اول ما دعاهم به قوله «توبوا[1] ايها الناس فقد دنت ملكوت السماء» فاوعى في آذانهم ذكر التوبة والبعث اللذين لا عهد لهم بهما ولا يعرفونهما ورغبهم في ملكوت السماء ليعملوا اعمالاً يستحقون بها الدخول اليها وزهدهم في الافعال التي كانوا مقيمين عليها والرجوع عنها الى الامر الذي يوجب لهم مغفرة الخطايا وصام اربعين يوماً بلياليها تخدمه فيها الملائكة وتتعبد له وهو مجاهد في صومه كيد الشيطان معرفاً للناس ان الله تبارك اسمه قادر على ان يحيي الانسان بغير خبز ولا ماء ممثلاً في ذلك حال حياتنا بعد الموت في القيامة وانه في ذلك الوقت ترتفع عنا الحاجات كلها ونحيى بلا اكل ولا شرب .

ثم ابتدأ في فرض الشرائع والسنن الروحانية وتعليم النواميس الالهية التي تليق بالاله ونفي الامور الجسدانية فكان من قوله في القتل

---

(١) قابل متى ٣ : ٢

«قد (١) سمعتم ما قيل للاولين ان من قتل يقتل واما انا فاقول لكم ان من غضب على اخيه باطلاً فقد استوجب العقوبة ومن عاب اخاه فقد وجبت عليه لائمة الجماعة ومن اساء الى اخيه فقد استوجب نار جهنم ولا تغربن الشمس على احد وهو غضبان على اخيه» ثم قال «اذا كنت قائماً في صلاتك وتذكرت ان اخاك واجد عليك فاقطع صلاتك وامض اليه مترضياً له ثم اقبل واتمم صلاتك» فقطع بهذه الشريعة اصل العداوة واسباب البغضة التي تنمي القتل ثم قال «قد سمعتم انه قيل لا تزن واما انا فاقول لكم من نظر الى امرأة نظرة شهوة فقد زنى في قلبه» فدلنا بهذا ان الله جل ثناؤه عارف بالظاهر والباطن لا تخفى عليه خافية وهو المكافئ على السر علانية ثم قال «قد سمعتم انه قيل من طلق امرأة فليعطها كتاب طلاقها وانا اقول لكم من طلق امرأته من غير فاحشة اتتها فقد الجأها الى الزنا ومن تزوج مطلقة فهو زان» ثم قال في ذم الكذب «قد سمعتم انه قيل لا تكذب في قسمك اما انا فاقول لكم لا تقسمن البتة لا بالسماء لانها كرسي الله ولا بالارض لانها موطأ قدميه ولا باورشليم لانها مدينة الملك الاعظم ولا برأسك لانك لا تقدر ان تحدث فيه شعرة سوداء أو بيضاء بل ليكن كلامك النعم نعم واللالا وما زاد على ذلك فهو خطأ من الشيطان» ثم قال في ذم الاخذ بالطوائل والترغيب في الصفح والامتناع من الانتقام «قد سمعتم انه قيل العين بالعين والسن بالسن

(١) قابل كل هذه الوصايا في متى الاصحاح الخامس والسادس والسابع

والجراح قصاص واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الايسر ومن طلب ان يأخذ قميصك فلا تمنعه رداءك ومن سخرك ميلاً فامض معه ميلين ومن سألك فاعطه ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده» فقطع بهذه الوصية سبيل الخصومات وبرد نار الملاحمات ورفع الشر القاطع بين الناس وقرب بعضهم من بعض وجمع بينهم بالتحابب والان قساوة الغلظة وآنس وحشتها وجعل الناس اخوة في الرحمة والشفقة. وقال في التفضل والاحسان «قد سمعتم انه قيل احبب قريبك وابغض عدوك واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم واحسنوا الى من اساء اليكم وادعوا لمن اضطهدكم وساقكم كرهاً لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء وتتشبهوا به فانه يشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويحدر قطره على الابرار والفجار» ثم قال مؤكداً لهذه الوصية ومرغباً فيها «وان كنتم تحسنون الى من احسن اليكم فاي اجر لكم اليس يفعل هذا السفهاء بل كونوا كاملين محسنين متفضلين كيما تشبهوا الرب الذي يهلككم ويتفضل عليكم» ثم قال في البر انظروا في صدقاتكم لا تعطوها تجاه الناس تريدون بذلك براً منهم فيضيع اجركم لكن انت ايها المتصدق ايما تصدقت بصدقة اياك ان تعلم شمالك ما صنعت يمينك لكيما تكون صدقتك سراً والحق اقول لك ان اباك الذي في السماء يكافيك على صدقتك علانية» ثم قال «وانت ايها المصلي اذا اردت الصلاة فلا تقفن في الاسواق وعلى ظهور الطرقات تراآي الناس

بصلاتك لكي يمدحوك الحق اقول لك ان فعلت هذا فلا اجر لك بل تكن اخذت اجرك من الناس الذين مدحوك ثم قال ايها المصلي اذا اردت ان تصلي فادخل الى مخدعك وصل بين يديـ ابيك سراً وابوك الذي يعلم السر يكافيك علانية» ثم قال «اذا صمت فلا تعبس وجهك وتضعف كلامك لكي ترآئي الناس بذلك فيضيع اجرك بمدحة الناس ولكن اذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك وقو كلامك لكيما يخفي على الناس صيامك والحق اقول لك ان اباك الذي اياه قصدت بصومك يجازيك» ثم قال في ذم الشره والحرص والبخل «لا تدخروا ذخائركم حيث يصل اليها اللصوص والآفات بل ادخروها في السماء حيث لا تصل اللصوص وتأمنون عليها وحيث تكون ذخائركم فهناك تكون قلوبكم» ثم قال «لايقدر العبد ان يخدم ربين الا باكرام احدهما واحتقار الآخر وكذلك لا تقدرون على خدمة ربكم وخدمة الدنيا» ثم قال «لا تهتموا بما تأكلون ولا بما تشربون فان عنايتكم بانفسكم وخلاصها من الآثام والخطايا افضل واوجب عليكم من عنايتكم بأجسادكم لان النفس افضل من الجسد اذ كان لا قوام للجسد الا بالنفس ولكن تشبهوا بطير السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع بل تغدوا خماصاً وتروح بطاناً لان اباكم الذي في السماء يؤتيها رزقها والحق اقول لكم انكم في الخليقة افضل واكرم عند الله منها فلا تهتموا بما تقيتون به اجسادكم بل اصرفوا عنايتكم الى ما يرضي ربكم ولا تحملوا اليوم هم الغد

انما يكفي اليوم همه فلا تهتموا برزق الغد لانكم انتم لستم خالقيه وانما خلق لكم فخالق الغد هو يأتيكم فيه رزقه ولا يقولن احدكم اذا اقبل الشتاء ماذا آكل وماذا البس وفي الصيف من اين آكل ومن اين اشرب فان اباكم الذي في السماء يعلم انكم تحتاجون الى ذلك وهو يؤتيكم اياه» ثم قال في اغتياب الناس «لا تدينوا ولا تعقبوا لكي لا تدانوا ولا تعقبوا فان بالدين الذي تدينون به تدانون وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم فما بالك ايها الانسان ترى القذى الذي في عين اخيك وفي عينك خشبة لا تهمك او تقول لاخيك دعني اخرج القذى الذي في عينك وفي عينك انت سارية اخرج اولا السارية من عينك وحينئذ تنظر في اخراج القذى من عين اخيك» ثم قال في الطلب والتضرع الى الله جل وعز ووعده بالاجابة «اطلبوا تجدوا اسالوا تعطوا اقرعوا يفتح لكم فان من سأل بنية صادقة اعطي ومن طلب بايمان خالص وجد ومن استفتح بقلب سليم فتح له من منكم يسأله ابنه خبزاً فيعطيه حجراً او يسأله حوتاً فيناوله حية فان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تعطوا اولادكم العطايا الجيدة فكم بالحري ابوكم الذي في السماء عنده الخيرات ويأتي الحسنات والبركات ويفيض نعمه على اوليائه واهل طاعته الذين يسألونه بنية صادقة ويقين خالص» ثم قال في اصطناع المعروف الى الناس «كل ما احببتم ان يفعل الناس بكم افعلوه انتم بهم ولا ترضوا للناس الا ما ترضونه

لانفسكم فان هذا هو كمال البر[١] » ورضى الله عز وجل

ولعل عايباً عاتياً بقلة دينه يعيب الفاظ الانجيل ويقول في تسمية المسيح سيدنا الله تبارك وتعالى ابانا فنجيبه في هذا بجواب مقنع ونقول ان المسيح اله العالم وسيده اراد ان يحبب طاعة الله الى الناس ويقربها من قلوبهم لتكون طاعتهم له بالمحبة والمودة لا بالقهر والرهبة وان يؤلف بين قلوبهم ويخرج العداوة منها ويرفع ذكر التفاخر بالانساب الذي اوقعه الشيطان بينهم ويجعلهم متعارفين بعضهم ببعض بالاخوة التي هم فيها كما هم في الطبيعة اجمع اخوة لاب واحد وام واحدة وكذلك احب ان يكونوا في جميع الحالات ليس كما فعل صاحبك حيث زرع البغضة بين الناس بقوله « يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم» (تغابن) والسيد المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم ابوكم الذي في السموات يفعل بكم كذا وكذا ويصطنع اليكم كيت وكيت كل ذلك ليزرع في قلوبهم محبة بعضهم لبعض فتنحل الضغائن ويرتفع التفاضل ولعمري ان الله جل وعز هو الآب الرحيم المشفق المتحنن المجمل اذ كان بدأ بخلقنا جوداً واحساناً قبل ان نكون تفضلاً منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا بنعمته ويتفقدنا بجوده ويتعهد هفواتنا ويغفر ذنوبنا ويحتمل بكرمه وطول آناته جهلنا ولا يعجل علينا كما يفعل الآب المشفق

(١) كل هذه الاشارة فهي منقولة عن الانجيل بالمعنى لا في اللفظ

على ولده «ثم اذا[١] ادبنا خلط بادبه الرأفة والرحمة» فلا يصل الى الغاية التي نستحقها بذنوبنا فمن احق واولى بان يسمى باسم الابوة الحقيقية من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره فلا حجة اذن للمنكر في انكاره على المسيح سيدنا حيث يسمي الله ابانا. ثم قال في اداء الفرائض «فاذا[٢] فعلتم ذلك كله فقولوا اننا عبيد بطالون انما عملنا ما امرنا به» وقد تحققت لنا اقواله ووصاياه بما كان يظهر لنا من سيرته انه كان صائماً مصلياً لا بيت له ولا مأوى ولا شيء من القنية اكثر من ثوبين يواري بهما جسده فقد قال له بعض السائلين يا عظيمنا اين منزلك لآتيك فيه فاجابه ان للثعالب[٣] أوجرة ولطيور السماء اوكاراً واما انا فلا بيت لي ولا مأوى حيث ادركت فهناك مبيتي ومتى طلبتني وجدتني لم يتكلم بافك قط ولا همّ بخطيئة ولا اقترف ذنباً ولا ارتكب اثماً ولا قبيحة ولا اعاب احداً ولا اذاه ولا منع طالباً ولا رد سائلاً ولا اعرض عن مستغيث ولا عن مستميح كما سبق قول النبي فيه (اشعياء ٥٣) ثم اتبع ذلك فحقق قوله بالاعاجيب والآيات التي فعلها وكان يشفي المرضى الذين لا يعرف عددهم الا هو تبارك اسمه و يبرئهم من ادوائهم و يكشف عن اسقامهم و يهب لهم العافية بكلامه طهر البرص واخرج الشياطين و بسط ايدي العسم واحيي الموتى الذين ماتوا واتت عليهم الايام الكثيرة مثل

---

[١] قابل عبرانيين ١٢: ٥ — ١١ [٢] قابل لوقا ١٧: ١٠ [٣] قابل متى ٨: ٢٠

العازر اخي مريم ومرثا ومثل ابنة يايروس رئيس الكهنة وعبد العامل وابن الارملة وغيرهم واخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكمنه افئدتهم وبكلمته ابرأ المفلوج وامر المقعد الذي اتت عليه ثمان وثلثون سنة زمناً ان يحمل سريره على عاتقه ويمضي محاضراً فكان ذلك ونادى الشياطين فاجابته مذعنة لامره طائعة لربوبيته مقرة له انه كلمة الله الحي وانه هو الذي يبطل سلطانها وتسأله ان يذهل عنها وغفر الخطايا ومحا الذنوب بالكلمة الخالقة الممجدة بروح القدس الحالّة فيه وفتح اعين الاكمه المعروف بالعمى على طول الايام وخلق لبعضهم الاعين من الطين المجبول بريقه قدرة منه على الخليقة واشبع من خمس خبزات وسمكتين خمسة آلاف رجل خلا النساء والصبيان وفضل من ذلك اثنى عشر مناً كسراً وكان مباركاً حيث كان وغير الماء المصبوب في ستة اجاجين خمراً وذلك في عرس في الجليل وتباركت به الصبيان ونادت به الاطفال ولعن شجرة التين فجفت من ساعتها وزجر امواج البحر في شدة الريح فانتهت ومشى على الماء ظاهراً وتجلى لتلاميذه في الجبل مع موسى وايليا النبيين وخبر السامرية بخبرها مع الازواج وابرأ المرأة التي كان بها نزيف دم منذ اثنتي عشرة سنة وذلك بمجرد لمسها ثوبه وظنت انه لا يعلم بها فعلم بالقوة التي خرجت منه وقال للجماعة من لمس ثوبي واتت المرأة وسجدت له واقرت بما فعلت فقال لها ايمانك شفاك امضي بسلام وكوني بريئة من علتك وامر الشاطين ان تدخل في الخنازير

وتغرق في البحر فاجابت وانتهت الى طاعته وفعل افعالاً كثيرة لو نسق جميعها الرسل لطال الكتاب بها وقد تركنا ايضاً كثيراً منها لئلا يطول كتابنا هذا ولانني اعلم انك قد قرأت الانجيل المقدس حيث كان ما آثبته التلاميذ من ذلك منسوقاً فيه ومن قول صاحبك وشهادته «وآتينا عيسي بن مريم البينات وايدناه بروح القدس» فكيف يحيل عليك اصلحك الله ان هذه الافعال ليست الهية ولا يحيل ذلك الا على من اظلم عقله بالحسد واعمي بصره بالغيرة ومن حملته محبة الدنيا على اهلاك نفسه ومن اتبعه بالافك وكل ذي لب ناصح لنفسه اذا هو نظر في كتابنا هذا وتصفح هذه الامور بعين الحق والنصفة وقاسها بافعال صاحبك تبين له الحق من الباطل وان كان لا يقاس بأمر المسيح شيء من الاشياء بالبهت والكذب والدعوى الباطلة ونحن نعلم وانت ان افعال المسيح ليست من افعال البشريين وان امر صاحبك قد تهيأ لجماعة من الناس ممن قد رأينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين في سائر الازمان فان قلت ان الانبياء كانت تفعل الا-ياء المعجبة التي ليس في قدرة العالمين ان يفعلوا مثلها مثل موسى وغيره قلنا لك نعلم ان الانبياء كانت تفعل ذلك لكن بعد التضرع الشديد والطلب الطويل والمسألة الملحة لا بالقدرة القاهرة والامر النافذ الذي لا مرد له ولا شيء يعتاص عليه او يضاده مثلما كان يفعل سيدنا المسيح لان اولئك انما كانوا يفعلون الشيء المعجز كما يفعل العبيد المشفقون بحسب الطاعة لانفاذ الامر الذي وجهوا

به وتبليغ الرسالة وانت تعلم ان موسى قبل فلق البحر لبني اسرائيل ما زال مصلياً راكعاً ساجداً طالبا حتى قال الله له لم تصلي «قم [(١)] فاضرب البحر بعصاك فانه ينفلق بين يديك» هكذا تجده في التوراة وكذلك يشوع بن نون وايلياء واليشاع كانوا يتضرعون ويطلبون في صلواتهم فعند ذلك يؤذن لهم في عمل الآية وذلك بعد المسألة الملحة على ان بعضا دعا وصلى وتضرع فلم يجب مثل موسى نجي الله فانه تعالى قال له لا ادخلك ارض المواعيد وهي بلاد الشام لانك لم تصدقني ولم تقدس اسمي امام بني اسرائيل وذلك في المكان المعروف بماء الخصام لضربه الصخرة ضربتين فحرمه من دخول ارض الميعاد ومثل ارمياء المغبوط في الانبياء قد دعا فقال الله عز اسمه اني لا اسمع دعاءك ولا اقبل صلاتك .

فأما سيدنا يسوع المسيح الذي هو الابن الحبيب كما شهد ابوه له قائلاً «هذا [(٢)] هو ابني الحبيب الذي به سررت» فانه فعل الاشياء بالقوة القاهرة التي هي الكلمة الخالقة للسموات والارض المتحدة به فهل يقدر مخالف ان يتعنت او يبطل هذا القول الا بالحسد والمعاندة للحق والافتراء على الله الاب وكلمته وروح القدس مثل من يقول ان الشمس مظلمة والنار غير محرقة فباهت بذلك العيان وكفاه بهذا خجلا

واذ قد نقلنا بعض شرائع المسيح سيدنا واخبرنا ببعض عجائبه فلنذكر الآن كيف اتخذ تلاميذه الحواريين وبعث بهم الى اهل العالم

---

(١) قابل خر ١٤: ١٥ و١٦ (٢) متى ٣: ١٧

دعاة الى الحق فنقول انه اتخذ قوماً اميين لا علم لهم ولا معرفة ولا شرف ولا حسب ولا ايسار صيادي سمك وعشاري خراج ففتح قلوبهم وملاها نوراً وحكمة فقهروا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر وتذلل لهم كل ملك عزيز وكل سلطان شديد وكل جبار عنيد ودخل في طاعتهم كل شريف وحسيب وافتقر اليهم كل غني حتى دان لهم ذوو الايسار واقر لهم كل ذي علم وفهم وانقطع عند حججهم كل ذي بلاغة ودانوا لهم بالطاعة واقروا لهم بالاجابة غير منكرين ولا جاحدين بل قائلين بالفضل الذي اوتوه ومعترفين لهم بالنعمة التي ظهرت عليهم والايد الذي ايدوا به وتلك الآيات والعجائب التي اظهروها حين قال لهم «اذهبوا [١] فادعوا الامم الى حيوة الابد و بشروهم بالبعث والنشور وقيامة اجسادهم وفيها ارواحهم وتخليصهم من اسر الموت وفكهم من سلطانه واطلاقهم من حبسه الذي هم فيه وقد اعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الآيات والعجائب مجاناً اعطيتكم مجاناً اعطوا لا تأخذوا ذهباً ولا فضة من احد تضعون ايديكم على المرضى فيبرأون والموتى فيحيون باسمي ليعجب العالم منكم ويكون لي حجة عليهم» فساروا بسيرته و بلغوا ذلك و بشروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم الى الحق مجتهدين غير مفترين ولا مستأثرين لشيءٍ من الدنيا وعدة هؤلاء سبعون رجلاً الذين وجههم قبل ارتفاعه الى السماء بالكرامة والمجد. واختار

---

(١) قابل متى ١٠ ولوقا ١:١٠—١٠

اثني عشر رجلاً كانوا ملازمين له وهم حواريوه وتلاميذه المشاهدون لكل اموره في كل احواله وهم الناقلون اخباره بالحق والصدق الى الامم وكانت مخاطبته اياهم وعهده اليهم قائلاً ان الذي يعمل ويعلم هذا يدعى اسمه كبيراً في ملكوت السموات وعظيماً واذا انتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرحمة وملكوت السماء والعمل بالبر ولا تكثروا الخطب والتعديد وتشغلوا قلوبكم بطلب الرزق الذي قد كفيتموه فان اباكم الذي في السماء اعلم بحوائجكم وما يصلح بكم ولكن اذا دعا احدكم فليدع هكذا [1]:

«ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض اعطنا خبزنا كفافنا يوماً فيوماً واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نغفر نحن لمن اساء الينا ولا تدخلنا في التجارب لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد آمين»

ثم قال لهم اني موجهكم مثل الحملان بين الذئاب [2] ولكني مؤيدكم فكونوا حكماء في اموركم واذا قدمتم الى السلاطين والحكام والقضاة فلا تهابوهم ولا تميلوا عن الحق معهم ولا ترهب قلوبكم عند مخاطبتكم اياهم بالمواعظ فانهم لا يملكون لانفسكم ضراً وانما سلطانهم على اجسادكم فقط فاصبروا اذا الجأوكم الى الحبس والضرب والقتل واذكروا من له سلطان على انفسكم واجسادكم معاً لانه هو القادر على ان يميتكم ويحييكم ويعذبكم ويعفو عنكم ولا تهتموا بما تكلمونهم وتحاجونهم به فاني

(١) قابل متى ٦:٧ — ٤ (٢) قابل متى ١٠:١٦ — ٣٣

معطيكم في الوقت من الحكمة بالروح القدس ما تحتاجون اليه واعلموا ان من جحد دعوتي وانكر البشارة باسمي انكرته يوم القيامة اذا وقف مع الخلائق بين يدي للحكم والقضاء ومن اقر بدعوتي والبشارة باسمي بين يدي الناس ولم يجحد ذلك ولم يكتمه اقررت به انه من اوليائي يوم الدين اذا وقف مع الخلائق بين يدي. ثم قال لهم عليكم بالتواضع فطوبى[1] للمتواضعين طوبى للمطهرة قلوبهم كونوا رحماء. فطوبى للرحومين فانهم يستحقون الرحمة من ربهم. ثم قال لهم صلوا من قاطعكم اعطوا من منعكم احسنوا الى من اساء اليكم سلموا على من سبكم صالحوا من بغضكم اصفحوا عمن اهانكم انصفوا من خاصمكم واعفوا عمن ظلمكم كعفو الله مولاكم عنكم فانكم اذا لم يرحم بعضكم بعضاً كيف يرحمكم الله واذا لم تحسنوا الى الناس كيف يحسن الله اليكم كونوا متفضلين حتى يجود الله عليكم لحقاً اقول لكم كما تفعلون كذا يفعل بكم. ثم قال ان[2] ضوء الجسد عيناه فان كان البصر مستضيئاً استضاء الجسد كله وان كان البصر مظلماً كان الجسد ايضاً في الظلام كذلك. العبد اذا كان عالماً بربه ابصر ذنبه واذا كان جاهلاً بربه عمي عن ذنوبه وكما ان لا قوام للجسد الا بالنفس الحية كذلك لا قوام للدين الا بالنية الحسنة الصادقة واياكم والنظر الى عيوب[3] الناس وان تعاتبوهم على

(1) قابل متى ٥:٣—٩ و٤٤—٤٦ (2) قابل متى ٦:٢٢ و٢٣ (3) متى ٧:١—٦

صلاحها لكن ابدأوا باصلاح عيوب انفسكم وغطوها بافعالكم لا تعطوا القدس للكلاب ولا تنشروا درركم قدام الخنازير ولا تذكروا الحكمة للسفهاء ولا تكلموا بها عند المظلمة قلوبهم من خوف الله . ثم قال ما اسهل[1] السبيل التي تؤدي الى العطب والهلاك وما اوسعها واعمرها واكثر سالكيها وما اثقل السبيل التي تؤدي الى الحيوة وما ابطأ سالكيها واقل عامريها[2] احتفظوا من الكذابين واحترسوا من المرائين على ظهورهم ثياب الصوف كالحملان وهم من داخل كالذئاب الخاطفة يعرفون بسيماهم هل يجتنى من العوسج عنب او من الحنظل تين كذلك لا ينتفع بقول ولا بموعظة من مثل هؤلاء واحذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بعدي بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة . امضوا[3] فادعوا الناس الى حيوة الابد وعلموهم ما علمتكم من الحكمة الروحانية وخبروهم بما رأيتموه مني وزهدوهم في هذه الدنيا الفانية الغرارة ورغبوهم في دار الآخرة واعلموهم ان الله تبارك وتعالى باعث من في القبور ومحيي الموتى ومدين الخلائق فمن عمل صالحاً ورث الحيوة الدائمة التي لا موت يقطعها في ملكوت السماء وجوار رب العالمين الذي لا شيء افضل منه مع الامن والعافية في نعيم لا يزول ولا ينقضي فمن افسد ولم يسمع قولكم وكذب بشارتي وجحد دعواي وناصبها بالنقض والمخالفة

(١) قابل متى ٧:١٣ و١٤ (٢) قابل ٧:١٥—٢٠

(٣) قابل ٢٨:١٩ و٢٠

والعداوة والمعاندة فجزآؤه يوم الدين نار جهنم التي لا تطفئ خالداً فيها والعذاب الدائم الذي لا انقضاء له وغضب الله وسخطه الذي لا رضى بعده فمن رد دعوتي فقد ناصب الله ورد امره. وقد اعطيتكم من الايد والسلطان والقوة والقدرة ما يحقق للناس دعوتكم لتكن الحجة البالغة عليهم ضعوا ايديكم على المرضى[١] الميئوس منهم فيبرأون باسمي ونادوا الموتى فيحيون واخرجوا الشياطين من الناس وافتحوا اعين العمي وطهروا البرص فلا شيء يعاندكم ولا يقاومكم وكل ما ربطتموه[٢] على الارض كان مربوطاً في السماء وكل ما حللتموه كان محلولاً حتى تنير دعوتي في جميع[٣] الارض ولا يكون موضع خالياً من دعوتي لانها الى الناس كافة لانها نعمة مبثوثة على جميع ذرية آدم فمن دخل فيها حظ نفسه وربح وامن وسلم وفاز وغنم ومن ضل معرضاً خاب وخسر. ها انا ذا موجهكم بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا سلاح ولا ملك ولا جنود ولا قهر ولا مجاهدة ولا مقاومة ولا مجاحفة ولا جدال ولا مناظرة ولا اضطهاد ولا عنف ولا ترغيب في ملك ولا لذات الدنيا وشهواتها ولا تسهيل في السنن فنادوا في الناس وادعوهم الى التوبة والخروج عن الاهل والولد والاموال والنعيم ورفض الدنيا والتذلل والخضوع وصححوا قولكم وضمانكم لهم ملكوت السموات بالآيات المعجبة التي اعطيتكم

---

(١) قابل ١٠: ٨ (٢) قابل يوحنا ٢٠: ٢٣ ومتى ١٩ و ٢٠

(٣) متى ٢٨: ٢٠

السلطان والقدرة على صنعها وخبروهم خبر البعث والوعيد ورغبوهم في الثواب وحذروهم من العقاب ولا تأخذوا ذهباً ولا فضة ولا تريدوا من احد اجراً ولا شكراً كلوا من كد ايديكم وما فضل من قوتكم تصدقوا به على المساكين ولا تدخروا للغد وامنحوا الناس منحتكم بلا غش ولا غل واعطوهم من ذلك مجاناً كما اعطيتكم ولا تمنعوا طالباً ولا تردوا سائلاً واسعفوا الناس جميعاً وابذلوا لهم المجهود من انفسكم سيروا بالبشارة ولا تفتروا فان ملكوت السماء قد دنت وها انا [1] معكم ومع كل من دعا باسمي جميع ايام الدنيا الى انقضاء الدهر. ثم انه اراد ان يكمل التواضع الى الغاية القصوى فلم يمتنع من ايدي الكفرة حتى نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة وهو مع ذلك يقول «يا ابت [2] اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يفعلون» ثم مات بجسده واقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم انزل ودفن واقام في القبر الى صبيحة يوم الاحد ثم انبعث حياً بلاهوته وتراءى [3] للنسوة اللاتي جئن الى قبره زائرات وظهر بعد ذلك لحوارييه مرة في الجليل ومرتين في الغرفة التي كانوا فيها نزلاً ومرة في الطريق وبعضهم ماض الى القرية التي تدعى عمواس ومرة على شاطئ البحر وهم يتصيدون السمك واكل معهم عدة مرار كل ذلك في خلال اربعين يوماً وكان يجدد عليهم الوصية

---

(١) قابل مرقس ١٦:١٥ (٢) قابل لوقا ٢٣:٣٤

(٣) قابل متى ٨:٩ و١٠ ومرقس ١٦:٩

ويذكرهم العهود التي عهدها اليهم ويخبرهم انه سيوجه لهم البارقليط الذي هو الروح القدس لتأييدهم فلم يزالوا كذلك الى ان صعد [١] الى السماء صعوداً ظاهراً مكشوفاً بحضرة من كان حاضراً في ذلك الوقت وهم ينظرون الى ابواب السماء مفتحة وقد نزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح وهي تخاطب وتقول ايها الناس ما بالكم تنظرون متعجبين حائرين هذا يسوع المسيح ابن الله الوحيد قد صعد الى السماء ممجداً وهو مزمع ان يأتي ثانية في آخر الايام فيرى نازلاً في ذلك الوقت كما ترونه الساعة صاعداً ليبعث من في القبور ويدين الخلائق ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه وذلك الجبل الذي صعد منه جبل الزيتون من بلاد الشام معروف مشهور بهذه الصفة الى هذا الوقت

فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف اذ يقول معلناً «اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون. فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين . وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين . ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» (آل عمران) فهذا فتح الله عقلك الى الصواب قول صاحبك واعترافه

(١) قابل لوقا ٢٤:٥١ واعمال ١:٩—١٢ ومرقس ١٦:١٩

وشهادته عن الله كما ادعى وادعيت له فتثبت في النظر وانصح لنفسك في الاستقصاء ولا تمل الى غير الحق فانك ان انصفت ظهر لك ابيض النور وتلألأ الحق

ثم لما كان بعد صعوده الى السماء بعشرة ايام كان الحواريون مجتمعين في الغرفة (١) التي كانوا ينزلون فيها معه اذ سمعوا هادة عظيمة شديدة وتجلى عليهم الروح القدس الذي هو البارقليط فصار على كل رجل مثل اللسان من النار فجعل يتكلم بلسان البلد الذي وجه ليبشر فيه بالمسيح مخلص العالم ومنقذه ويدعو اهل ذلك البلد الى النصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويريهم الآيات المعجزة فعند ذلك تفرق الحواريون كل رجل منهم الى البلد الذي ندب اليها واعطى معرفة لسانها وكلام اهلها وكتبوا الانجيل الطاهر وجميع اخبار المسيح واقاصيصه بكل لسان عن املاء الروح القدس فدانت لهم الامم واستجابوا لقولهم ورفضوا هذه الدنيا ومالوا الى الامر الواضح وتركوا اديانهم ودخلوا في النصرانية عندما اشرق لهم نور الحق وتلألأ نور البشارة فايقنوا وآمنوا مصدقين غير مرتابين ولا شاكين حيث ميزوا الحق من الباطل والكفر من الايمان والهدى من الضلالة والرشد من الغي ورأوا الاعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة والسيرة الحسنة المشبهة لسيرة المسيح التي آثارها قائمة ثابتة حتى اليوم والساعة فنحن الذين قبلناه منهم لم نزد فيه ولم ننقص

(١) قابل اعمال ١:١٣ و٢:٢—١٣

منه وعليه نحيي وعليه نموت ونبعث حتى نقوم به بين يدي المسيح سيدنا يوم نقف بين يديه اذا هو دان الخلق جميعهم ليس كسيرة صاحبك وسيرة اصحابه الذين لم يزالوا يتقدمون في القتل والنهب والخبط بالسيوف وسبي الذراري والتغلب على البلدان ونهب الناس اموالهم وهتك حريمهم واستعباد الاحرار وهم في هذه الحال الى هذه الغاية يحملون الناس على المحارم وعلى مساوي الاخلاق حتى تعلموا فقالوا في ذلك ما لم تفعلوه مثل قول عمر بن الخطاب الا من كان جاره نبطياً واحتاج الى ثمنه فليبعه ومثل هذا كثير مما يشا كله من القول والفعل وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان و بولس من ابرآء المرضى بامرهما وطلبهما واقامة الموتى باسم المسيح سيدنا

وان قلت ما بال الرهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجرائح مثلما كان الحواريون يفعلون حيث توجهوا الى البلدان رجعنا اليك بالجواب وقلنا انهم لما مضوا للبلدان للدعوة واجتذاب الناس الى الى الاقرار بربوبية المسيح احتاجوا عند ذلك الى كثرة الآيات وتواتر العجائب لتصح دعوتهم وليعلم الذين يدعونهم صحة دعواهم فليس الرهبان اليوم دعاة وان كان كثير منهم يتكلفون فعل ذلك لدى الخواص خفية ليعلم ان تلك النعمة ثابتة فيهم باقية فاذا جرى لهم امر احتاجوا الى اظهار قوتهم للعامة اظهروها ليعرف ذلك من افعالهم في المشرق والمغرب وحيث حلوا ولو ان الرهبان تكلفوا احياء كل ميت واشفاء كل مريض في

كل وقت لم يمت احد ولم يكن للقيامة رجاء ولا للدنيا زوال وكان في ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعالى ووعيده في الآخرة وانما يفعل الرهبان ما يفعلونه ويجري على ايديهم الواحد بعد الواحد ليزدادوا ثقة لما هم فيه من ذلك التعب والنصب وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم وايضاً فمن قصدهم بقلب سليم ونية صحيحة واتاهم مستغيثاً فبصلواتهم وبركة دعائهم ادركوا طلبتهم وايضاً لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التجارب كما ظهرت للاولين وكانت دائمة كما كانت في ايام الجهل وعدم الادب لما كان للناس في ايمانهم وطاعتهم حمد الا كحمد الدواب التي لا تستغني في الاستقبال بها والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصا لكن اذ فضل الله تبارك اسمه جوهر الانسان على البهائم وانعم عليهم بالعقل والتمييز كلفهم استعمال رأيهم في احراز علم ما غاب عنهم من برهان الحق عن دينه فاذن ليس يحتاج اليوم الناس الى معاينة الآيات في تحقيق هذا الدين الا من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلة ادراكها

فقد شرحت لك قصة المسيح سيدنا على غاية الاقتصار وبعض اخبار الحوار بين الذين نقلنا عنهم ديانتنا التي نحن متمسكون بها ومنتحلون لها فاجمع الآن ما تريد جمعه منها الى ما في يدك واستعمل الانصاف واصدق نفسك ولا تغشها وان قبلت مني فاني لك من الناصحين يشهد الله والملائكة عليّ بذلك ان تركت مشاركة الفجرة الجهال واقبلت الى

نور الانجيل وضياء بشارة المسيح تصر من اوليائه وترث ملكوت السماء وحياة الابد التي لا انقطاع لها والنعيم الذي لا تبلغه صفة الاميين وخف ممن سلطانه على بدنك ونفسك الذي هو يقدر ان يرحمك ويقبلك كما يقبل الاب الولد الشارد فانك تكون من الموفقين فان حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لما قد خصك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك فلا تغفل ولا تغتر بهذه الدنيا وتتعلق باسبابها وتنغمس في شهواتها فانها غدارة مهلكة لمن مال اليها وانظر لنفسك قبل فوت النظر وردد فكرك في ما قد كتبته اليك وشرحته لك من الاشياء التي قلدتها كتابي هذا وقس بعضها ببعض واستعمل في ذلك قانون العدل وميزان الحق وآثره ومل اليه وتجنب الباطل وتنح عنه واهرب من الامور المدلسة فانها انما هي بهرجة على قوم جهال اغبياء لا علم لهم ولا معرفة ولا تأدب ولا حكمة ولا نظر ولا شريعة فليس هذا الامر من الامور التي يجوز ان يغفل عنها حتى لا يلتفت اليه لانه هو الامر المحصول عليه في الوقتين معاً في هذه العاجلة وفي الآجلة وقت لا يقبل منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج واعلم علماً يقيناً ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا يخيب من طلبها لرضى الرب واجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه في كتبه اما انا فقد بلغت جهد طاقتي في النصيحة لك ولكل من نظر في كتابي هذا وما ابقيت عند نفسي في ذلك غاية واسأل الله ان يوفقك وايانا على العمل الصالح بطاعته ويعصمنا من

معاصيه ويشركنا في ملكوته مع اوليائه الذين رضي عنهم بجوده وكرمه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . آمين

تنبيه

يقول المتولي تصحيح هذه الصفحات انه ما حصل بيدي لهذا العمل الا نسختان احداهما منقولة على ما قيل عن نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية والثانية عن نسخة من احدى مكاتب مصر بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ ولا تاريخ النسخ والثنتان في غاية التحريف مع الاختلاف العظيم في عدة مواضع فاجتهدت في التأليف بينهما على قدر الامكان ومن بذل وسعه فلا لوم عليه وان قصر . هذا ووجدت في آخر النسخة المصرية الزيادة الآتي نصها بحروفها « بلغنا انه انتهى الامر الى المأمون في خبر الرسالتين فامر باحضارهما وقرئتا عليه فلم يزل ناصتاً حتى جاء الى آخرهما فقال ما كان دعاه الى ان يتعرض لما ليس من عمله حتى اجاد (ولعل الصواب اجاز) كتاف نفسه فاما النصراني فلا حجة لنا عليه لان الامر لو لم يكن عنده هكذا لما اقام على دينه والدين دينان احدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة اما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به من دراسته (كذا ولعل الصواب ما جاء به زرادشت) واما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح واما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جاء به صاحبنا فانه الدين الجامع الدنيا والآخرة » اه

اما الرسالتان فقد ذكرهما العالم الشهير ابو ريحان محمد بن احمد البيروني في كتابه المسمى «الآثار الباقية عن القرون الخالية» اذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصابئة الآدميين قرباناً للقمر فقال : « وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكندي النصراني عنهم (اي الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمي انهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهراً» اه . واما عبد المسيح هذا فما عثرت على ذكر له في شيء مما تيسر لي مراجعته من التواريخ الاسلامية سوى ما نقلته هنا عن البيروني والله اعلم ما نسبته من يعقوب بن اسحاق الكندي الشهير مترجم الكتب اليونانية الملقب بفيلسوف الاسلام

طبع في المطبعة الانكليزية الاميركانية بالقاهرة
NILE MISSION PRESS.


Bibliotheca Alexandrina
0410725